كتاب الفِتَن

الفِتَنُ جَمْعُ فتنة، مأخوذٌ من الفَتْنِ وهو إدخالُ الذهب في النارِ لتظهرَ جَوْدَتُه من رداءَته. والمرادُ هنا: اختبارُ النفسِ الإنسانية بالأمْرِ والنَّهْي ليظهر صِدْقُ الإنسانِ من كَذِبه، وتحقيقُه من دعواه. وهي سنةٌ قدريةٌ شرعيةٌ قال تعالى: ﴿الٓمٓ. أحسبَ الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ١-٢]. وقد بسط الإمام ابن القيم الكلام على هذا المعنى في كتابه النفيس «الفوائد»: ٢٦٧ نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٤٠٣٥- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَاماً مَا تَرَكَ شَيْئاً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، فَإِنِّي قَدْ أَرَى الشَّيْءَ قَدْ كُنْتُ نَسِيتُهُ، فَأَرَاهُ فَأَعْرِفُهُ كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ إِذَا غَابَ عَنْهُ، فَرَآهُ فَعَرَفَهُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٩١) (٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (٥٦٤٠).

ورُوِيَ عن طارق بن شهاب قال: سمعت عمر يقول: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهلُ الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك مَنْ حفظه، ونسيه مَنْ نسيه. علَّقه البخاري (٣١٩٢)، وانظر «تغليق التعليق» ٣/٤٨٦-٤٨٧.

٤٠٣٦- عَنْ أُسَامَة بْنِ زَيْدٍ قَالَ: أشْرَفَ النَّبيُّ ﷺ عَلى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أرَى؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «إنِّي لأرَى الفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ المَطَرِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧٠٦٠)، ومسلم (٢٨٨٥).

الأُطُم: بناءٌ مرفوعٌ من الحجارة كالقصر، وآطام المدينة: حصونُها، وكذلك آجامها واحدها: أُجُمٌ.

ووقع التشبيه بمواقع القَطْرِ - وهو المطر - إرادةَ الكثرة والعموم، والمعنى: أنَّها كثيرةٌ وتعمُّ الناسَ، لا تختصُّ بها طائفةٌ. وفي هذا إشارةٌ إلى الحروب الجارية بين الصحابة كوقعة الجمل، وصفين، ومقتل عثمان رضي الله عنه، ووقعة الحَرَّة. وغير ذلك. وفي ذلك معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ الله ﷺ.

٤٠٣٧- عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأيْتُ أحَدَهُمَا، وَأنَا أنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا «أنَّ الأمَانَة نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ القُرْآنُ، فَقَرُؤُوا مِنَ القُرْآنِ، وَعَمِلُوا مِنَ السُّنَّةِ» ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِها قَالَ: «تُرْفَعُ الأمَانَةُ، فَيَنَامُ الرَّجُلُ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ، وَقَدْ رُفِعَتِ الأمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَبْقَى أثَرُهَا كَالوَكْتِ، أوْ كَالمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلى رِجْلِكَ، فَهُوَ يَرَى أنَّ فِيهِ شَيْئاً، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَتُرْفَعُ الأمَانَةُ حَتَّى يُقَالَ: إنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلاً أمِيناً» وَلَقَدْ رَأيْتُنِي حَدِيثاً، وَمَا أُبَالِي أيُّكُمْ أُبَايِعُ لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ إسْلَامُهُ، وَلَئِنَ كَانَ مُعَاهَداً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأمَّا اليَوْمَ، فَإنِّي لَمْ أكُنْ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إلَّا فُلَاناً وَفُلَاناً.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٩٧) عن محمد بن كثير، عن سفيان، وأخرجه مسلم (١٤٣) عن أبي كُريب وأبي بكر بن أبي شَيْبَة، عن أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، وقالا فيه: «فتُقبَضُ الأمانةُ، فيبقى أثرها مثلُ أثر المَجْلِ دَحْرَجْتَه على رجلك فنفِط، فتراه مُنتَبِراً وليس فيه شيءٌ، ويُصبحُ الناسُ يتبايعون، ولا يكادُ أحدٌ يؤدي الأمانة، ويقال للرجل: ما أعقلَه وما أظرفه، وما أجلدَه وما في قلبه مثقال حبّةِ خردَلٍ من إيمان».

قوله: في جَذْرِ قلوب الرجال. الجذر: الأصل من كل شيء. الوَكْتُ: جمع وَكْتةٍ، وهي الأثرُ اليسير، ومنه قيل للبُسر إذا وقعت فيه نكتةٌ من الإرطاب: قد وَكَّتَ، والمَجْلُ من قولهم: مَجَلَتْ يده مجلاً: إذا خرج منها شيءٌ يشبه البَثرَ من العمل، ويغلظ جلدها. وقوله: «فتراه مُنتبراً» المنتبر: المنتفِط، يقال: انتبرتْ يده، أي: انتفطتْ. وقوله: «ليردنّه علي ساعيه» يعني رئيسهم الذي يصدرون عن رأيه، ولا يُمضون أمراً دونه، ويقال: أراد بالساعي الوالي عليه، يقول: ينصِفني منه وإن لم يكن مسلماً، وكل من وليَ شيئاً على قوم، فهو ساعٍ عليهم، ومنه يقال لعامل الصدقة: ساعٍ وتأوله بعضُهم على بيعة الخلافة، وقال الخطابي رحمه الله: وهو خطأ لأنه قال: وإن كان معاهداً ردّ عليَّ ساعيه، ولا يبايع المعاهَد إنما أراد مبايعة البيع والشراء، يريد: ذهبت الأمانة من الناس، فلست أثق اليوم بأحد أأتمنه على بيعٍ أو شراء إلا فلاناً وفلاناً لقلة الأمانة في الناس، وقبل هذا كنت لا أبالي من بايعته، فإن بايعتُ مسلماً، قلتُ: لا يظلمني لأنه مسلمٌ، وإن بايعتُ نصرانياً، قلت: إن لم ينصفني، أعانني عليه ساعيه، وقد فسد اليومَ الأمر.

٤٠٣٨- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ يُكَفِّرُهَا

الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلٰكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ البَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ القَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: أَنْتَ للهِ أَبُوكَ، قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلى القُلُوبِ كَالحصِيرِ عُودٌ عُودٌ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى يَصِيرَ عَلى قَلْبَيْنِ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تُضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً كَالكُوزِ مُجَخِّياً لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَراً إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ، قَالَ عُمَرُ: أَكْسراً لَا أَبَا لَكَ، فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قَالَ: لَا بَلْ يُكْسَرُ، وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذٰلِكَ البَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثاً لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ، قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ مَا أَسْوَدُ مُرْبَادّاً؟ قَالَ: شِدَّةُ البَيَاضِ فِي سَوَادٍ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الكُوزُ مُجَخِّياً؟ قَالَ: مَنْكُوساً.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (١٤٤). وروى بعضهم مُربّداً، قال أبو عبَيْد في «غريب الحديث» ٢/ ٢٣٠: الرُّبدةُ: لون بين السواد والغُبرةِ.

وروى شقيقٌ عن حذيفةَ بعضَ هذا الحديث وقال: إن بينك وبينها باباً مُغلقاً، قال- يعني عمر-: أيُكسر أم يُفتح، قال: يُكسر قال: إذاً لا يُغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أنَّ دون الغدِ الليلةَ إني حدثتُه بحديث ليس بالأغاليط، فهِبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: الباب عمر.

قوله: «تُعْرَضُ الفِتَنُ على القلوب كالحصير» قال بعضهم: أي: تحيط بالقلوب، يقال: حَصَرَ به القوم، أي: أطافوا به، وقال الليث: حصير

الجنب: عِرقٌ يمتد معترضاً على جنب الدابة إلى ناحية بطنها شبهها بذلك، ويقال الحصير: السجن، والمجخِّي: المائل.

٤٠٣٩- عَنْ خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ اليَشْكُرِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ زَمَنَ فُتِحَتْ تُسْتَرُ حَتَّى قَدِمْتُ الكُوفَةَ، فَدَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا أَنَا بِحَلْقَةٍ فِيهَا رَجُلٌ صَدَعٌ مِنَ الرِّجَالِ، حَسَنُ الثَّغَرِ يُعْرَفُ فِيهِ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ، فَقَالَ: فَقُلْتُ: مَنِ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ القَوْمُ: أَوَمَا تَعْرِفُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالُوا: هٰذَا حُذَيْفَةُ بْنُ اليَمَانِ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَقَعَدْتُ وَحَدَّثَ القَوْمَ، فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، فَأَنْكَرَ ذٰلِكَ القَوْمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي سَأُخْبِرُكُمْ بِمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ ذٰلِكَ: جَاءَ الإِسْلَامُ حِينَ جَاءَ، فَجَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ كَأَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، فَكُنْتُ قَدْ أُعطِيتُ فِي القُرْآنِ فَهْماً، فَكَانَ رِجَالٌ يَجِيئُونَ فَيَسْأَلُونَ عَنِ الخَيْرِ، فَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَكُونُ بَعْدَ هٰذَا الخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَمَا العِصْمَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «السَّيْفُ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ السَّيْفِ بَقِيَّةٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ تَكُونُ إِمَارَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، وَهُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ، فَإِنْ كَانَ للهِ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَالْزَمْهُ وَإِلَّا فَمُت وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جَذْلِ شَجَرَةٍ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ، وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ تُنْتَجُ المُهْرُ، فَلَا يُرْكَبُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

ورواه أحمد (٢٣٢٨٢) (٢٣٤٢٥) و(٢٣٤٢٧)، وأبو داود (٤٢٤٤)، وابن حبان (٥٩٦٣) وفي سنده خالد بن خالد، ويقال: سبيع بن خالد، لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وصححه الحاكم ٤/ ٤٢٣ ووافقه الذهبي.

والصَّدَعُ- مفتوحة الدال- من الرِّجال: الشاب المعتدل، ويقال: الصَّدَعُ الرَّبْعةُ في خَلْقه، رجُل بين الرجلين، وكذلك الصَّدعُ من الوعول وَعْلٌ بين الوعلين.

وقوله: فما العِصْمةُ؟ قال: «السيف». كان قَتادةُ يضعه على أهل الرِّدَّة كانت في زمن الصدِّيق رضي الله عنه. وقوله: «هدْنةٌ على دَخَنٍ» معناه: صلحٌ على بقايا من الضِّغْنِ، وذلك أنَّ الدخانَ أثرٌ من النار يدلُّ على بقيةٍ منها، الدليل عليه قوله: «إمارةٌ على أقذاءٍ»، وقال أبو عبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٣٥١: أصلُ الدَّخَنِ أن يكونَ في لون الدابة أو الثوب أو غير ذلك كدُورةٌ إلى سوادٍ. وفي بعض الروايات: قلتُ: يا رسول الله الهُدْنة على الدَّخَنِ ما هي؟ قال: «لا يرجع قلوب أقوامٍ على الذي كانت عليه».

ويروى: «جماعةٌ على أقذاءٍ» أخرجه أبو داود (٤٢٤٦) يقول: يكون اجتماعُهم على فسادٍ من القلوب، شبّهه بأقذاء العين، يقال: قذاءٌ وجمعها قذى، ثم أقذاء جمعُ الجمع.

٤٠٤٠- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفاً خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْماً عَلى حِمَارٍ، فَلَمَّا جَاوَزْنَا بُيُوتَ المَدِينَةِ، قَالَ: «فَكَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا كَانَ فِي المَدِينَةِ جُوعٌ تَقُومُ عَنْ فِرَاشِكَ فَلاَ تَبْلُغُ مَسْجِدَكَ حَتَّى يُجْهِدَكَ الجُوعُ»؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «تَعَفَّفْ يَا أَبَا ذَرٍّ» ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا كَانَ بِالمَدِينَةِ مَوْتٌ يَبْلُغُ البَيْتُ العَبْدَ حَتَّى إِنَّهُ يُبَاعُ القَبْرُ بِالعَبْدِ» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «تَصَبَّرْ يَا أَبَا ذَرٍّ». قَالَ: «كَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا كَانَ بِالمَدِينَةِ قَتْلٌ يَغْمُرُ الدِّمَاءُ حِجَارَةَ الزَّيْتِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «تَأْتِي مَنْ أَنْتَ مِنْهُ» قَالَ: قُلْتُ: وَأَلْبَسُ السِّلَاحَ، قَالَ: «شَارَكْتَ القَوْمَ إِذاً» قُلْتُ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ نَاحِيَةَ ثَوْبِكَ عَلى وَجْهِكَ لِيَبُوءَ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ».

هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، أخرجه أحمد (٢١٣٢٥)، وأبو داود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨).

وقوله: «يبلغ البيتُ العبدَ»، أراد بالبيت القبر، قيل: معناه أن الناس يُشغلون عن دفن موتاهم حتى لا يوجد منهم مَن يحفرُ قَبْرَ الميت فيدفنه إلا أن يُعطى عبداً أو قيمة عبدٍ، وقيل: معناه أن مواضع القبور تضيق عنهم، فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر بعبدٍ. وقوله: «يَبهرك شعاع السيف»، أي: يَغلبك ضوؤه وبريقه.

قوله: «حجارة الزيت»: هو موضعٌ بالمدينة في الحرَّةِ سُمِّيَ بها لسوادِ الحجارة كأنَّها طُلِيت بالزيت، أي: الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتلى، وهذا إشارةٌ إلى وقعةِ الحرَّةِ التي كانت زمنَ يزيد بن معاوية.

وقوله: «تأتي مَنْ أنتَ منه» يعني: تلتحق بأهلك وعشيرتك.

٤٠٤١- عَنِ الحَسَنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هٰكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ: فَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَا يُعْرَفُ، وَدَعْ مَا يُنْكَرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ».

حديث صحيح أخرجه أحمد (٦٥٠٨)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١١٧٦)، وتمامُ تخريجه في «المسند».

قوله: «حُثالةٌ» أي: رُذالةٌ، والحثالةُ: الرديء من الشيء، ومثله الحُفالةُ، وكذلك الجفالةُ.

قوله: «مَرِجَتْ عهودهم» أي: اختلطت، ومنه قوله عز وجل: ﴿فهم في أمرٍ مَريجٍ﴾ [ق: ٥] أي: مختلطٍ مرة يقولون: شاعرٌ، ومرة: ساحرٌ، ومرة: كاهنٌ، ومرة: مجنونٌ.

٤٠٤٢- عن أبي إدريس الخَوْلانيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهٰذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هٰذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قَالَ: قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فَقُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذٰلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلى ذٰلِكَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّتِهِ، أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

قوله: «وفيه دَخَنٌ»، أي: لا يكون الخير مَحْضاً، بل فيه كدَرٌ وظلمةٌ، وأصل الدَّخَنِ: أن يكون في لون الدابة كدورةٌ إلى سوادٍ.

وقولُه: «هم من جلدتنا» فسَّره القابسي من المالكية بقوله: معناه أنَّهم في الظاهرِ على ملَّتنا وفي الباطنِ مخالفون. وقوله: «ولو أن تعضَّ بأصل شجرة» قال الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٤٠: أي ولو كان الاعتزالُ بالعضِّ فلا تعدل عنه. ونقل عن القاضي البيضاوي قال: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفةٌ فعليك بالعزلة والصبر على تحمُّل شدَّة الزمان فهو كنايةٌ عن مكابدةِ المشقَّةِ. والمرادُ بالجماعة: أهْلُ العلم لأنَّ الله تعالى جعلهم حجَّةً على الخلق، والناسُ تبعٌ لهم في أمر الدين. ففي الحديث: أنه متى لم يكن للناس إمامٌ فافترق الناسُ أحزاباً، فلا يتبع أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع خشية الوقوع في الشر.

٤٠٤٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً، وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً، وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١١٨).

وروي عن الحسن أنه قال في هذا الحديث: «يصبح الرجلُ مؤمناً» يعني محرِّماً لدم أخيه وعرضه وماله، ويمسي مُستحلاً.

وعن ابن مسعود أنه ذكر الفتنة فقال: أيُّ أهل ذلك الزمان شرٌّ؟ قال: كل خطيب مِسْقعٍ، وكل راكبٍ مُوضِعٍ. والمِسْقع بكسر الميم وسكون السين ويقال بالصاد: هو البليغُ. والمُوْضع بضم الميم: المُسْرع.

٤٠٤٤- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ

اللهِ وَمِنْ قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «لَا بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلٰكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَتَعْرِفُنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهْنَ» قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ».

أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) وفي سنده مجهول لكن له طريق آخر عند أحمد (٢٢٣٩٧) وسنده قوي فيتقوى به.

والغُثاءُ: ما يبس من النبت، فحمله الماء، فألقاه في الجوانب، يقال: غَثا السيل المرتع: إذا جمع بعضه على بعض، وأذهب حلاوته، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فجعله غثاءً أحوى﴾ [الأعلى: ٥] أي: جعله غثاءً بعد أن كان أحوى، وهو الذي اشتدت خُضرته، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فجعلناه غثاءً﴾ [المؤمنون: ٤١] أي: أهلكناهم فذهبنا بهم، كما يذهب السيل بالغثاء.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الانغماسَ في الشهوات والملذَّاتِ، والإعراضَ عن داعي الله تعالى والدارِ الآخرة، وما يُفْضيان إليه من كراهيةِ للموت وحبِّ الجهادِ في سبيل الله تعالى، هما الداءُ العضالُ الذي يُطْمع أعداءَ الله في ديارِ الإسلام وأهْله، وأنَّ الزهد في الدنيا، وإعظامَ الرغبة فيما عند الله من النعيم المقيم، هما السبيلُ إلى إرهابِ أعداءِ الله تعالى ورَدْعِهم، وذلك بما يتحقق في شخصية المسلم من معاني القوَّة التي تدفعه إلى الاستبسال في الدفاع عن بَيْضَةِ الإسلام وحمى المسلمين. وشاهدُ الحال يغني عن كثير المقال.

٤٠٤٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ

يَهْلِكُوا، فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ، يَقُمْ سَبْعِينَ عَاماً» قَالَ: قُلْتُ: أَمِمَّا بَقِيَ أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قَالَ: «مِمَّا مَضَى».

إسناده حسن، أخرجه أحمد (٣٧٠٧)، وأبو داود (٤٢٥٤) وصحَّحه ابن حبان (٦٦٦٤) وتمام تخريجه في «المسند».

قال أبو سليمان الخطابيُّ في «معالم السنن» ٣١٣/٤: دَوران الرحى: كنايةٌ عن الحرب والقتال شبهها بالرحى الدَّوارة التي تطحن الحبَّ لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس.

قال صعصعة جدُّ الفرزدق: أتيت عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه حين رفع يده من مرحى الجمل يريد حرب الجمل.

قوله: «وإن يقم لهم دينهم» يريد بالدين: المُلك. قال أبو سليمان: ويشبه أن يكون أريد بهذا ملك بني أمية وانتقاله عنهم إلى بني العباس، وكان ما بين أنِ استقرَّ الملك لبني أمية إلى أن ظهرت الدُّعاة بخراسان، وضعُف أمر بني أمية، ودخل الوهن فيه نحوٌ من سبعين سنة.

قال التوربشتي بعد أن نقل قول الخطابي: يرحم الله أبا سليمان فإنه لو تأمل الحديث كلَّ التأمل وبنى التأويل على سياقه، لعلم أن النبي ﷺ لم يرد بذلك مُلْكَ بني أمية دون غيرهم من الأمة، بل أراد أن استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة، وإقامة الحدود والأحكام، وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة، وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمساً وثلاثين أو ستاً وثلاثين أو سبعاً وثلاثين. ثم يشقون عصا الخلاف. فتفرق كلمتهم فإن هلكوا فسبيل من قد هلك قبلهم، وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين، هذا مقتضى اللفظ، ولو اقتضى اللفظ أيضاً غير ذلك، لم يستقم لهم ذلك القول، فإن الملك في أيام بعض العباسية لم

يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية، ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحواً من تسع وثمانين سنة، والتواريخ تشهد له مع أن بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا، وهي قول ابن مسعود: مما بقي أو مما مضى؟ يريد السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين، أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها قال: مما مضى، يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أول دول الإسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين. نقله المُلَّا علي القاري في «شرح مشكاة المصابيح» ٥/ ١٥٢.

٤٠٤٦- عن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ قال: كُنَّا قُعُوداً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ الفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاَسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِتْنَةُ الأَحْلاَسِ؟ قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرَبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّما أَوْلِيَائِي المُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدَعُ أَحَداً مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً، وَيُمْسِي كَافِراً حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكُمْ، فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدٍ».

أخرجه أحمد (٦١٦٨)، وأبو داود (٤٢٤٢) وغيرهما وتمام تخريجه في «المسند».

قال الخطابيُّ في «معالم السنن» ٤/ ٣١٠: «فتنة الأحلاس» إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس، لدوامها وطول لُبْثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا

يبرح: هو حِلْسُ بيته، وقد يحتمِلُ أن يكون شبَّهه بالأحلاس لِسواد لونها وظلمتها، والحَرَب: ذهاب المال والأهل، يقال: حُرِبَ الرجل، فهو حريبٌ: إذا سُلِب مالُه وأهله، والدَّخَنُ: الدخان يريدُ أنها تثور كالدخان من تحت قدميه. وقوله: «كوَرِكٍ على ضِلَعٍ» مثلٌ ومعناه: الأمر الذي لا يثبُت ولا يستقيم، وذلك أن الضِّلَعَ لا يقوم بالورك ولا يحمله، وإنما يقال في باب الملاءمة والموافقة إذا وصفوا: هو ككفٍّ في ساعدٍ وساعدٍ في ذراع ونحو ذلك. يريد أن هذا الرجل غيرُ خليق للملك ولا مستقلٍ به. والدهيماء: تصغير الدهماء صغَّرها على مذهب المذمَّة لها. والفُسْطاط: المدينة التي فيها مجتمع الناس.

بابُ
الاعتزال في الفتنة

٤٠٤٧- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ المُسْلِمِ الغَنَمَ يَتَّبعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَواقِعَ المَطَرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٠٨٨)، وأبو داود (٤٢٢٧)، والنسائي ٨/ ١٢٣ وغيرهم.

شعف الجبال: أعاليها، واحدها شعَفَةٌ.

٤٠٤٨- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ في إبلٍ لَهُ وَغَنَمٍ، فَأَتَاهُ عُمَرُ ابْنُهُ، فَلَمَّا رَآهُ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هٰذَا الرَّاكِبِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ: يَا أَبَتِ أَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ أَعْرَابِيّاً فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، والنَّاسُ بِالْمَدِينَةِ يَتَنَازَعُونَ فِي المُلْكِ،

قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: اُسْكُتْ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

والخفيُّ: هو الخاملُ المنقطعُ إلى العبادة والاشتغال بأمورِ نَفْسِه. والحديثُ حجَّةٌ لمن يقول: إن الاعتزال أفضل من الاختلاط، وهو محمولٌ بلا شك على زمان الفتنة.

٤٠٤٩- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ: القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً، فَلْيَعُذْ بِهِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧٠٨١)، ومسلم (٢٨٨٦).

قوله: «مَنْ تشرَّف لها تستشرفه» أي: مَن طلع لها بشخصه، طالعته، يقال: استشرفتُ الشيء: إذا رفعتَ رأسكَ ونظرتَ إليه.

وقال رجلٌ لابن عمر في فتنة ابن الزبير: إن الناس قد صنعوا وأنت ابنُ عمر، وصاحبُ النبي ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أنَّ الله قد حرَّم دَمَ أخي، قال: ألم يقل اللهُ: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ [الحجرات: ٩] قال: لأنْ أغترَّ بهذه الآية، ولا أقاتل أحبُّ إليّ من أن أغترَّ بالآية التي تقول: ﴿ومن يقتلْ مؤمناً متعمداً﴾ الآية [النساء: ٩٣] قال: ألم يقل الله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣] قال: قاتلنا على عهد رسول الله ﷺ حتى لم تكن فتنةٌ، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنةٌ، ويكون الدين لغير الله.

وقال سعيد بن جبير: خرج علينا ابن عمر، فقال رجلٌ: كيف ترى في قتال الفتنة والله يقول: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ﴾ قال: هل تدري ما الفتنة؟ إنما كان محمد يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنةً، وليس بقتالكم على الملك.

وروي أن رجالاً من أهل بدر لما قتل عثمان، لزموا بيوتهم، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم.

٤٠٥٠- عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ».

أخرجه مسلم (٢٩٤٨). والهرج: الفتنة والاختلاط. قال ابن رجبٍ في «لطائف المعارف»: ٢٥٤: وسببُ ذلك أنَّ الناسَ في زمن الفتن يتبعون أهواءَهم ولا يرجعون إلى دينٍ، فيكون حالهم شبيهاً بحالِ الجاهليةِ، فإذا انفرد مِن بينهم مَنْ يتمسَّك بدينه ويعبدُ ربَّه ويتَّبع مراضيه، ويجتنب مساخِطَه، كان بمنزلة من هاجَرَ من بين أهل الجاهلية إلى رسولِ الله ﷺ مؤمناً به: متَّبعاً لأوامرِه، مجتنباً لنواهيه».

بابُ

أشراط الساعة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨]، يَقُولُ: فَكَيْفَ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بِذِكْرَاهُمْ.

٤٠٥١- عَنْ أنسٍ قَالَ: لأَحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدِي، سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ شَرْطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَى، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ فِي خَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ وَاحِدٌ».

هٰذا حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

قوله: «من شرط الساعة» أي: من علامتها، ويروى من أشراط الساعة، أي: من علاماتها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فقد جاء أشراطها﴾ [محمد: ١٨].

و«القَيِّمُ» هو الذي يقوم بأُمورِهن. قال الحافظ في «الفتح» ٩/ ٢٤٢: ويحتمل أن يُكْنى به عن اتباعهن له لطلب النكاح حلالاً أو حراماً.

٤٠٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٥٩)، وأحمد (٨٧٢٩)، وابن حبان (١٠٤)، وتمام تخريجه في «المسند». وقوله: «وُسِّدَ الأَمْرُ» أي: أُسْنِد، و«الأَمْرُ» هنا ما يتعلَّق بالدين كالخلافة والقضاءِ والإفتاءِ.

وقد دلَّ على جملةٍ صالحةٍ من آداب العالم والمتعلم، منها: تركُ زَجْرِ السائل، والرفق به ولا سيَّما إذا كان حديثَ عهدٍ بالعلم وآدابه، ومنها: العنايةُ

بجواب السائل. ومنها: أن من أدب السائل ألّا يسألَ العالمَ وهو مشتغل بغيره.

٤٠٥٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ، وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُول: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ أَجْمَعُونَ فَذلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ، فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا».

هذا كله متفق على صحته، أخرجه البخاري (٣٦٠٨، ٣٦٠٩، ٧١٢١).

قوله: «دجَّالون كذَّابون» وكل كذَّاب دجَّالٌ، يقال: دَجَلَ فلانٌ الحقَّ بباطله، أي: غطَّاه، وبعيرٌ مُدَجَّلٌ: إذا كان مطليّاً بالقطران، ومنه أُخِذَ الدجال، ودَجَلُهُ سِحْره وكَذِبُه، وقيل: سميَ الدجال دجالاً لتمويهه على الناس وتلبيسه، يقال: دَجَلَ: إذا موَّه ولبَّس، وقيل: سميَ به لضربه في الأرض وقطعه أكثر نواحيها، يقال: دَجَلَ الرجل: إذا فعل ذلك.

قوله: «ويتقارب الزمان» قيل: هو دنوُّ زمانِ الساعة، وقيل: معناه قِصَرُ الأعمار، وقلَّةُ البركة فيها، وقيل: قِصر مدة الأيام والليالي كما يروى: «الزمان يتقارب حتى يكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السَّعْفَة» أخرجه أحمد (١٠٩٤٣) بسندٍ صحيح. والسَّعفةُ: غُصْنُ النخل.

قال حماد بن سلمة: سألت أبا سنان عن قوله: «يتقارب الزمان حتى يكون السنة كالشهر» فقال: ذلك من استلذاذ العيش، قال الخطابي - والله أعلم - زمان خروج المهدي، ووقوع الأمَنة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها، فيُستلذُّ العيش عند ذلك، وتُستقصر مدته، ولا يزال الناس يستقصِرون مدة أيام الرخاء وإن طالت وامتدت، ويستطليون أيام المكروه وإن قصُرت وقلَّت، والعرب تقول في مثل هذا: مرَّ بنا يومٌ كعرقوب القطاة قِصَراً.

٤٠٥٤- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخَافُ عَلَيْكُمُ الهَرْجَ» قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «القَتْلُ» قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ اليَوْمَ، إِنَّا لَنَقْتُلُ مِنَ المُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: «لَيْسَ قَتْلَ المُشْرِكِينَ، وَلٰكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً» قَالُوا: وَفِينَا كِتَابُ اللهِ؟ قَالَ: «وَفِيكُمْ كِتَابُ اللهِ» قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟ قَالَ: «إِنَّهُ يُنْزَعُ عُقُولُ عَامَّةِ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ، وَتَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ».

إسناده ضعيف، وأخرجه أحمد في «المسند» (١٩٤٩٢) من طريق حماد ابن سلمة، عن علي بن زيد، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن أبي موسى، وعلي بن زيد ضعيف، وباقي رجاله ثقات، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٥٩) من حديث عون عن الحسن، حدثنا أسيد بن المتشمس، قال: حدثنا

أبو موسى. . . وأسيد بن المتشمس وثقه ابن حبان، ونقل في التهذيب عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن معين قال: إذا روى الحسن البصري عن رجل فسماه، فهو ثقة يحتج بحديثه.

٤٠٥٥- عَنْ كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ الخُزَاعِيِّ قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ لِلإِسْلَامِ مُنْتَهىً؟ قَالَ: «نَعَمْ أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ العَرَبِ أَوِ العَجَمِ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «ثُمَّ تَقَعُ الفِتَنُ كَأَنَّها الظُّلَلُ» قَالَ: فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: كَلَّا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ثُمَّ لَتَعُودُنَّ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبّاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

هذا حديثٌ صحيح الإسناد، أخرجه أحمد (١٥٩١٧).

قوله: «أساود» أي: حياتٌ، قال أبو عبيد: الأسود: العظيم من الحيَّات، وفيه سوادٌ، قال شمرٌ: هو أخبثُ الحيَّات، وربما عارض الرُّفقة، وتبع الصوت، وقيل في تفسيره: يعني جماعاتٍ، وهي جمع سوادٍ من الناس، أي: جماعةٌ ثم أسودةٌ، ثم أساودُ.

وقوله: «صُبّاً» قيل: هو جمع صابٍ مثل غازٍ وغزّى، وقيل: هو صبّاءُ على وزن فعّالٍ جمع صابىء، وصبأ: إذا مال من دين إلى دين، وقيل: هي الحيَّة السوداء إذا أرادت أن تنهس، ارتفعت، ثم انصبَّت.

٤٠٥٦- عن الأسود بن سعيدٍ الهَمْداني، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خليفةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالُوا: ثُمَّ يَكُونُ ماذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَكُونُ الهَرْجُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه ابن حبان (٦٦٦١)، وأحمد (٢٠٨٦٠)، وأبو داود (٤٢٨١)، وتمام تخريجه في «ابن حبان».

٤٠٥٧- عن عبد الملك ـ يعني ابن عُمَير ـ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيراً» فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا، فَقَالَ أَبِي: إِنَّهُ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١٢٣)، ومسلم (١٨٢١).

قال سِماكُ بن حَرْبٍ عن جابر بن سمُرَة: يعني لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرَ خليفة كلهم من قريش.

بابُ

ما يكون من كثرة المال والفتوح

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. قِيلَ: مَا فِيهَا مِنَ الكُنُوزِ، وَقِيلَ: مَوْتَاهَا.

٤٠٥٨- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَة، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ، فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الحِيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، فَلَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَداً إِلَّا اللهَ» - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّيء الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلَادَ - «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى» قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كُسْرَى بْنُ

هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَداً يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً، وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ» قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ ﷺ «يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، وأحمد (١٨٢٥٨).

وقال الأعمش عن خَيثمة عن عديٍّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلِّمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجابٌ يحجبه»، أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) (٦٧).

الدُّعَّارُ جمع داعرٍ: وهو الخبيث من الرِّجال. سعَّروا البلاد، أي: أوقدوا نيران الفِتن. وعديُّ بن حاتِم بن عبد الله الطائي كنيته أبو طريف عاش مئة وعشرين سنة، ومات بالكوفة في زمن المختار وأوصى أن لا يُصلي علَيه المختار.

وفي الحديثِ من الفوائدِ: أنَّ الله تعالى يكلِّمُ عباده المؤمنين في الدارِ الآخرةِ بغير واسطة.

وفيه: الحثُّ على الصدقة، وتَرْكُ احتقارِ القليل منها.

وفيه: دليلٌ على قربِ النار من أهل الموقف. ذكره الحافظ في «الفتح» ١١/ ٤١٣ ونقل عن ٱبن هبيرة الحنبلي أنَّ المراد بالكلمة الطيبة هنا: أن يدلَّ على هدى، أو يردَّ عن ردى، أو يصلح بين اثنين، أو يفصل بين متنازعَيْن، أو يحلَّ مُشْكلاً، أو يكشفَ غامضاً، أو يدفع ثائراً، أو يُسَكِّن غضباً. والله تعالى أعلم.

٤٠٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

٤٠٦٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَحْسِرُ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ مِئَةٍ تِسْعُونَ» أَوْ قَالَ: «تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، كُلٌّ يَرَى أَنَّهُ يَنْجُو».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٩٤). وفيه تفسيرٌ لعلَّه النَّهْي عن الأخْذِ منه في الحديثِ السابق، وذلك لما ينشأ عنه من الاحتراب والتنازع.

٤٠٦١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، فَيَجِيءُ القَاتِلُ، فَيَقُولُ: فِي هٰذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ القَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هٰذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ، فَيَقُولُ: فِي هٰذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ، فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٠١٣)، والترمذي (٢٢٠٩).

قوله: «أفلاذ كبدها» أراد أنها تخرج الكنوز المدفونة فيها كما قال جلَّ ذكره: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [الزلزلة: ٢] والفلذة لا تكون إلا للبعير، وهي قطعةٌ من كبد، ويجمع فِلْذاً وأفلاذاً، وهي القطعُ المقطوعة. وقيؤها: إخراجها، شبّه بالكبد الذي في بطن البعير، لأنه من أطايب الجزور، وقيل: تخرج ما في باطنها من معادن الذهب والفضة. و«الأُسطوان»: السارية.

بابُ

قتالِ الترك وقتال اليهود

٤٠٦٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهٰذَا الأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٥٨٧)، ومسلم (٢٩١٢).

٤٠٦٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ حُمْرَ الوُجُوهِ، صِغَارَ العُيُونِ، ذُلفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ».

وعن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا اليَهُودَ، وَحَتَّى يَخْتَبِىء اليَهُودِيُّ وَرَاءَ الحَجَرِ، فَيَقُولَ الحَجَرُ: يَا عَبْدَ اللهِ يَا مُسْلِمُ تَعَالَ هٰذَا وَرَائِي يَهُودِيٌّ فَاقْتُلْهُ».

وعنه أيضاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنَ المَغْرِبِ، آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَذٰلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً».

وهذه الأحاديث متفق على صحتها، أخرجاها من طرق عن أبي هريرة.

قوله: «كأن وجوههم المَجانَّ المُطرقة» المجانُّ جمع المِجَنِّ، وهو الترْسُ، والمُطْرَقَةُ: هي التي أطرقتْ، أي: ألبستْ بطراقٍ وهو الجلد الذي يُغشَّاه، ويقال: طارق النَّعل: إذا صيَّرَ خصْفاً على خصفٍ، شبَّه وجوههم في عرضها ونتوِّ وجناتها بالتِّرَسةِ قد ألبستِ الأطرقة. الذَّلَفُ: قِصَرُ الأنف وانبطاحه.

وفي الحديثِ الثاني: أنَّ لليهودِ نهايةً محتومة، وأنَّ المسلمين سيقاتلون، وأكثرُ أهل العلم على أنَّ الملحمةَ العظمى تكون مع نزول المسيح حيث يقتل الدجال، وتظهر المعجزات مثل تكليم الشجر والحجر. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٢٧٤.

٤٠٦٤- عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هٰذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيهِمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَتَقَبَّلُ مِنْهُ صَدَقَتَهُ» قَالَ: «وَيُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَقْتَرِبُ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» قَالُوا: الهَرْجُ ما هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ».

هو في صحيفة همام (٢٣)، وأخرجه البخاري (١٤١٢)، ومسلم ص٧٠١ (٦١) وص٢٠٥٧ (١٢).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ».

هو في صحيفة همام (٢٤)، وأخرجه البخاري (٧١٢١).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْبَعِثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ».

هو في صحيفة همام (٢٥)، وأخرجه البخاري (٧١٢١).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزاً وَكِرْمَانَ قَوْماً مِنَ الأعَاجِمِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، فُطْسَ الآنُفِ، صِغَارَ الأعْيُنِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ».

هو في صحيفة همام (١٢٦)، وأخرجه البخاري (٣٥٩٠).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ».

هو في صحيفة همام (١٢٨).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ، آمَنُوا أجْمَعُون، وَذٰلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً».

هو في صحيفة همام (٢٦)، وأخرجه البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧).

هذه الأحاديث متفق على صحتها، أخرجاها من طرقٍ عن عبد الرزاق وطرقٍ أخر عن أبي هريرة.

٤٠٦٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّاباً دَجَّالًا، كُلُّهمْ يَكْذِبُ عَلى اللهِ وَعَلى رَسُولِهِ».

سلف تخريجه.

٤٠٦٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ، فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هٰذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١).

وفي الحديثِ: إشارةٌ إلى بقاءِ دينِ الإسلام إلى أن ينزلَ عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتلُ الدجال، ويستأصلُ اليهودَ الذين هم تَبَعُ الدجال. أفاده الحافظ في «الفتح» ٦/ ١٢١.

بابُ
قتال الروم

٤٠٦٧- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّا لَجُلُوسٌ عِنْدَهُ بِالكُوفَةِ إِذْ هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: قَامَتِ السَّاعَةُ، حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ لَهُ هِجِّيرَى يَقُولُ: قَامَتِ السَّاعَةُ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، قَامَتِ السَّاعَةُ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، فَاسْتَوَى جَالِساً وَغَضِبَ وَكَانَ مُتَّكِئاً، فَقَالَ: وَاللهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقْتَسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ وَقَالَ: إِنَّهَا سَتَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هٰؤلَاءِ مُدَّةٌ. قَالَ حُمَيْدٌ: فَقُلْتُ لِلرَّجُلِ: الرُّومَ يَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ وَيَسْتَمِدُّ المُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَيَقْتَتِلُونَ فَتَشَرَّطَ شُرْطَةً

لِلْمَوْتِ أَلَّا يَرْجِعُوا إِلَّا غَالِبِينَ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءَ هٰؤلاءِ وَيَفِيءَ هٰؤلَاء، وَكُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ اليَوْمُ الثَّانِي كَذٰلِكَ، ثُمَّ الثَّالِثُ كَذٰلِكَ، ثُمَّ اليَوْمُ الرَّابِعُ يَنْهَدُ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ المُسْلِمِينَ، فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا حَتَّى إِنَّ بَنِي الأَبِ كَانُوا يَتَعَادُّونَ عَلى مِئَةٍ لَا يَبْقَى إِلَّا الرَّجُلُ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَفَيُقْتَسَمُ هَاهُنَا مِيرَاثٌ؟ قَالَ مَعْمَرٌ: وَكَانَ قَتَادَةُ يَصِلُ هٰذا الحَدِيثَ قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ حَتَّى يَدْخُلُوا قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَيَجِدُونَ فِيهَا مِنَ الصَّفْرَاءِ وَالبَيْضَاءِ مَا إِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْجُلُ حَجْلًا، فَبَيْنَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ أَنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَ فِي ذَرَارِيكُمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَفَيُفْرَحُ هَاهُنَا بِغَنِيمَةٍ، فَيَبْعَثُونَ مِنْهُمْ طَلِيعَةً عَشَرَةَ فَوَارِسَ أَوْ اثْنَيْ عَشَرَ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَقَبَائِلَهُمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرُ فَوَارِسَ فِي الأَرْضِ، فَيُقَاتِلُهُمُ الدَّجَّالُ، فَيُسْتَشْهَدُونَ».

هٰذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٨٩٩).

قوله: تشرَّط شرطةً للموت. الشرطةُ: أول طائفة من الجيش تشهدُ الوقعة.
قوله: يَنهدُ إليهم، يقال: نَهَدَ القوم لعدوِّهم: إذا صمدوا له.

وقوله: «هِجِّيرَى» يعني الدَّأبَ والعادة.

بابُ

ما يكون من العلامات بين يدي الساعة

٤٠٦٨- عن عَوْف بْن مَالِكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ أَدَمٍ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ

فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كُقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٣١٧٦)، وأحمد (٢٣٩٨٥).

المُوتان، بضم الميم: هو الموت، وبالفتح: هو الأرض التي لم تُحيَ، وقوله: «كقُعاص الغنم» القُعاص بضم القاف: داءٌ يأخذ الغنمَ لا يُلْبَثُها أن تموت، ومنه أُخِذَ الإقعاص وهو القتل على المكان، يقال: ضربَه فأقعصهُ، وفي الحديث: «مَنْ قُتِلَ قعصاً فقد استوجب المآب» أي: حُسنَ المآب. أخرجه أحمد (١٦٤١٤) وفي سنده مقال.

واستفاضة المالِ: كثرتُه، وأصلُه التفرُّق والانتشار، يقال: استفاض الحديث: إذا انتشر، والهدنةُ: الصلْحُ بعد القتال، وأصلُ الهدنةِ: السكون، يقال: هَدَنْتُ أهْدِنُ هُدوناً ومَهدَنةً، ومنه قول سلمان: مَلغاةُ أوَّل الليل مَهْدَنةٌ لآخره يقول: إذا لغا في أول الليل فسهِرَ، لم يستيقِظْ في آخره للتهجد والصلاة. وبنو الأصفر: الروم. والغايةُ: الرايةُ، ويروى بالباء ومعناها: الأجمةُ شبَّهَ كثرةَ رماح أهل العسكرِ بها.

٤٠٦٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنَ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، وَأَمْرَ العَامَّةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٤٧)، وابن ماجه (٤٠٥٦) وغيرهما.

قوله: خاصةُ أحدكم يعني: الموت.

٤٠٧٠- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العرَبِ، وَآخِرُ ذٰلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد (١٦١٤١)، ومسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١) وغيرهم.

٤٠٧١- عن الزهريِّ قال: قال سعيد بن المسيّب: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

وأهْلُ العلم على أنَّ هذه النار قد خرجت، ذكر ذلك النووي في «شرح مسلم» ٩/٢٥٦ وأنَّ ذلك كان سنة أربع وخمسين وست مئة، وأن العِلْمَ بها قد تواتر عند أهل الشام، وكان النووي ما يزال على قيد الحياة، وذكره أبو شامة في «ذيل الروضتين»: ١٩٠، وكان معاصراً لذلك الحدث، ورأى فيه تصديقاً لقول رسول الله ﷺ، ونَقَل عمَّن يثق به ممَّن شاهدها بالمدينة أنَّه كُتِبَ على ضوئها الكُتُبَ بتيماء، وأنه كانوا كان في دار كلٌّ واحدٍ منهم سراجاً، وقد بسط أبو شامة الكلام عليها في «الذيل»: ١٩٠-١٩٢.

٤٠٧٢- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عمْرَانُ بَيْتِ المَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ المَلْحَمَةِ، وَخُروجُ المَلْحَمَةِ فَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ» ثُمَّ ضَرَبَ عَلى فَخِذَيْ الَّذِي حَدَّثَهُ يعني مُعَاذاً أوْ عَلى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إنَّ هٰذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنْتَ هَاهُنَا، أوْ كَمَا أَنْتَ قَاعِدٌ».

إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٢٢٠٢٣)، وأبو داود (٤٢٩٤) في الملاحم: باب أمارات الملاحم، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠/ ٢٢٣ وفيه عبد الرحمن بن ثابت مختلف فيه، وترجمه الذهبي في «الميزان» ٢/ ٥٥١، وأورد له هذا الحديث وغيره من جملة مناكيره، ومع ذلك فقد قال الحافظ ابن كثير في «النهاية» ١/ ٥٩ بعد أن رواه عن الإمام أحمد: وهذا إسناد جيد، وحديث حسن، عليه نور الصدق وجلال النبوة!!

وروي عن أبي بحريَّةَ، عن معاذٍ، عن النبي ﷺ قال: «الملحمةُ العظمى، وفتح قسطنطينية، وخروج الدجال في سبعة أشهر»، أخرجه أحمد (٢٢٠٤٥) وأبو داود (٤٢٩٥) بسندٍ ضعيف.

ويروى عن عبد الله بن بُسرٍ أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمةِ وفتح المدينةِ ستُّ سنين، ويخرج الدجال في السابعة» قال أبو داود: هذا أصح.

٤٠٧٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ المَلْحَمَةِ وَفَتْحِ المَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي السَّابِعَةِ».

أخرجه أبو داود (٤٢٩٦)، وابن ماجه (٤٠٩٣) وفي سنده عبد الله بن أبي وهو مجهول.

باب

٤٠٧٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ».

أخرجه البخاري (٧١١٧)، ومسلم (٢٩١٠).

وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ».

أخرجه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

وقد دلَّ حديثُ القحطاني على ما سيقع من تغيُّر الزمان وتبديلِ الأحكام بأن يطاعَ في الدين مَنْ ليس أهلاً لذلك. فهو إنذارٌ بما يكون من الشرِّ في آخرِ الزمانِ من تسوُّرِ العامة على منازل الاستقامة.

بابُ

الدجالِ لعنه الله

وهو مُشْتَقٌّ من الدَّجْلِ وهو التغطيةُ، سُمِّي بذٰلك لأنه يُغَطِّي الحقَّ بباطله، وأخباره ثابتةٌ في السنة الصحيحة، وقد اشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذُكِرَ عنه من الشرِّ وعِظَمِ الفتنة به وتحذير الأنبياء منه، والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة، وأجيبَ بأجوبة ذكرها الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٩٨. وللحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي جزءٌ في «أخبار الدجال» وهو مطبوع.

٤٠٧٥- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلٰكِنِّي سَأَقولُ لَكُمْ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلمونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٣٣٧)، وأحمد (٦٣٦٥) وفيه تمام تخريجه.

وقد ٱستُشْكِلَ إنذارُ نوحٍ قومَه بالدجال مع ثبوتِ الأحاديث بخروجه بعده، والجوابُ: أنَّ وَقْتَ خروجه مخفيّاً عنهم، فحذَّروا قومهم من فتنته، وأنَّ العِلْمَ النهائي بخروجه كان لرسولنا محمد ﷺ ولذلك اختُصَّ بقولٍ لم يَقُلْه نبيٌّ من قبله لقومه وهو أنه أعور، وإنما اقتصر على ذلك مع أنَّ أدلَّةَ الحدوث في الدَّجال ظاهرةٌ لكَوْنِ العَوَرِ أثرٌ محسوسٌ يدركُه العالِمُ والعاميُّ ومَنْ لا يهتدي إلى الأدلَّةِ العقلية، فإذا ادَّعى الربوبية وهو ناقصُ الخِلْقَةِ - والإله يتعالى عن النقص- عُلِمَ أنه كاذب.

٤٠٧٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمر قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).

الطافيةُ من العنب: الحبَّةُ الخارجةُ عن أخواتها، ومنه الطافي من السمك، لأنه يعلو أو يظهر على رأس الماء، يريد أنَّ حدقته قائمةٌ كذلك.

٤٠٧٧- عَنْ أنَس، عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الدَّجَّالَ أعْوَرُ، عَيْنُهُ الشِّمَالُ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ: كَافِرٌ ك ف ر».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

وعن حُذيفة أيضاً: أنه أعور العين اليسرى، أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

قال الأصمعيُّ: الظفرةُ: لحمةٌ تنبت عند المآقي.

وروى ربعيُّ بن حِراشٍ عن حُذيفةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدجال ممسوحُ العين، عليها ظفرةٌ غليظةٌ، مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرؤه كل مؤمنٍ كاتب وغير كاتب» أخرجه مسلم (٢٩٣٤) (١٠٥).

٤٠٧٨- عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود: أنَّ أبَا سَعِيدٍ قَالَ: حدثنَا النَّبيُّ ﷺ يَوْماً حَدِيثاً طَويلاً عَنِ الدَّجَّالِ، فَكَانَ فِيمَا يُحَدِّثُنَا بِهِ أنَّهُ قَالَ: «يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إلَيْهِ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أشْهَدُ أنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أرَأيْتُمْ إنْ قتلْتُ هٰذَا، ثُمَّ أحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أنْ يَقْتُلَهُ، فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

قوله: «السِّباخُ» بكسر السين جمع سَبَخَةٍ بفتحتين، وهي الأرضُ الرملة التي لا تُنبتُ لملوحتها.

قال معمرٌ: بلغني أنه يُجعلُ على حلقه صفيحةٌ من نحاس، وبلغني أنه الخضِرُ الذي يقتله الدجال، ثم يحييه. قال ٱبن العربي المالكي: وهذه دعوى لا بُرْهان لها.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الدجال لا يستطيع دخولَ المدينة. وأنَّ ما يعطاه الدجالُ من إحياء الموتى هو على سبيل الفتنة للعبادِ إذْ كان عندهم ما يدلُّ على أنه مُبْطِلٌ وهو أنه أعور مكتوبٌ على جبهته: «كافر» يقرؤه كلُّ مسلم، فَدَعْواه داحضةٌ مع وَسْمِ الكُفْرِ ونَقْصِ الذات والقَدْرِ.

٤٠٧٩- عن رِبْعي بن حِراشٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ، قَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَاراً، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً، فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً، فَماءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ النَّارَ، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ» فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ تَصْدِيقاً لِحُذَيْفَةَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٣٥).

٤٠٨٠- عَنْ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ إِنَّكَ لَنْ تُدْرِكَهُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ جِبَالَ خبْزٍ وَأَنْهَارَ مَاءٍ، وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ».

هذا حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩).

وقوله: «إنَّه أهْوَنُ على الله من ذلك» معناه: هو أهْوَنُ على الله من أن يَجْعَلَ ما خلقه الله تعالى على يَدِه، مُضِلاً للمؤمنين، ومُشَكِّكاً لقلوبهم، بل إنَّما جعله له ليزدادَ الذين آمنوا إيماناً، ويثبت الحجَّةَ على الكافرين والمنافقين ونحوهم. وليس معناه أنه ليس معه شيءٌ من ذلك. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٣٠١.

وقال الحافظ ابن كثير في «النهاية» ١/ ١٤٧: وقد تمسك بحديث المغيرة هذا طائفة من العلماء، كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال مُمَخْرِقٌ مُمَوِّه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه، بل كلها خيالات عند هؤلاء. وقال ابن حبان في «صحيحه»، بإثر حديث المغيرة (٦٨٠٠): إنكار المصطفى ﷺ على المغيرة بأن مع الدجال أنهار الماء ليس يضاد خبر أبي مسعود (٦٧٩٩) والذي ذكرناه، لأنه أهون على الله من أن يكون معه نهرٌ يجري، والذي معه يرى أنه ماء، ولا ماء من غير أن يكون بينهما تضاد.

٤٠٨١- عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إلَيْهِ، عَرَفَ ذٰلِكَ فِينَا، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهَا وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إنْ يَخْرُجْ وَأنَا فِيكُمْ فَأنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ، إنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأنِّي

أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِيناً، وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْماً يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذٰلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَيَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لاَ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ: «كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَ بِهِ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى القَوْمِ، فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَ ذُرًى وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، قَالَ: فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَيَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ، قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ، تَحَدَّرَ مِنْهُ مِثْلُ جُمَانٍ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لاَ يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ

عِبَادِي إِلَى الطورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُوا مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بِهٰذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، وَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ البُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَراً لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، بَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

ورواه مسلم (٢٩٣٧) زاد بعد قوله: «لقد كان بهذه مرة ماء: ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَرِ وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَن في الأرض، هَلمَّ فلنقتل مَن في السماء، فيرمون بنُشابهم إلى السماء، فيرُدُّ الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً».

هذا حديثٌ صحيحٌ.

قوله: إنه خارج خَلَّةً، أي: سَبِيلاً بين الشام والعراق. وقوله: «فيقطعه جِزْلتين» أي: قطعتين. قوله: «بين مَهرودتَين» أي: في شقتين أو خلتين، ويروى هذا الحرف: «مهرودتَين» بالدال والذال جميعاً، أي: ممصَّرتين، والمُمَصَّرَةُ من الثياب: التي فيها صُفرةٌ. ويروى في وصف عيسى: «رجلٌ مربوعٌ إلى البياض والحمرة يمشي بين ممصَّرتين».

وقوله: «وهم من كلِّ حَدَبٍ ينسِلون»، أي: يُسرعون، يقال: نسلَ يَنسِلُ نسلاناً. وقوله: «فيرسِلُ عليهم النَّغفَ» النَّغفُ: دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم واحدها: نَغفةٌ.

وقوله: «فيصبحون فَرْسى» أي: قتلى الواحد فَريسٌ، مثل قتلى وقتيلٍ، وصريعٍ وصرعى من فَرْس الذِّئب الشاة.

وقوله: «فيتركها كالزَّلَفة» الزَّلفة: واحدةُ الزَّلفِ وهي المصانع، وهي المزالفُ أيضاً. وقيل: هي المرآةُ، شَبَّهها بها في صفائِها ونظافتها.

وقوله: «زهمهم ونَتنهم» هو دَسَمُهم ورائحتهم الكريهة.

و«الرِّسْلُ» بكسر الراء وسكون السين: اللبن. واللِّقْحةُ: القريبةُ العَهْدِ بالولادة.

و«الفَخِذُ»: الجماعةُ من الأقارب.

وقوله: «يتهارجون» أي: يُجامع الرجالُ النساءَ بحضرة الناس كما تفعل البهائم، ولا يكترثون لذلك. نسأل الله العفوَ والعافية والسلامة وأن يحفظ علينا ديننا الذي أكرمنا به.

٤٠٨٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ، فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَيَلْقَاهُ المَسَالِحُ مَسَالِحُ

الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أعْمِدُ إلَى هٰذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أوَمَا تُؤْمِنُ؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحَداً دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إلَى الدَّجَّالِ، فَإذَا رَآهُ المُؤْمِنُ قَالَ: يَا أيُّهَا النَّاسُ هٰذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ، فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ فَشَبِّحُوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً قَالَ: فَيَقُولُ: أوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُوشَرُ بِالمِيشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِماً، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لَا يُفْعَلُ بَعْدِي بِأحَدٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاساً، فَلَا يَسْتَطِيعُ إلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أنَّمَا قَذَفَهُ إلَى النَّارِ، وَإنَّمَا أُلْقِيَ فِي الجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا أعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٣٨).

قوله: «المسالح»: هم قومٌ معهم السلاح يُرَتَّبون في المراكز كالخُفَراءِ. سُمّوا بذلك لحملهم السلاح، والشَّبْحُ: المدُّ على البطن والميشارُ: هو المنشار.

٤٠٨٣- عَنْ أسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الأنْصَارِيِّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ سِنِينَ: سَنَةٌ

تُمْسِكُ السَّماءُ ثُلُثَ قَطْرِهَا وَالأَرْضُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، وَالثَّانِيَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَيْ قَطْرِهَا، وَالأَرْضُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، وَالثَّالِثَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا كُلَّهُ، وَالأَرْضُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلاَ تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ وَلاَ ذَاتُ ضِرْسٍ مِنَ البَهَائِمِ إِلَّا هَلَكَتْ، وَإِنَّ مِنْ أَشَدِّ فِتَنِه أَنَّهُ يَأْتِي الأَعْرَابِيَّ، فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتُ لَكَ إِبِلَكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى، فَيُمَثِّلُ لَهُ نَحْوَ إِبِلِهِ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ ضُرُوعاً وَأَعْظَمِهِ أَسْنِمَةً، قَالَ: وَيَأْتِي الرَّجُلُ قَدْ مَاتَ أَخُوهُ، وَمَاتَ أَبُوهُ، فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتُ لَكَ أَبَاكَ، وَأَحْيَيْتُ لَكَ أَخَاكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيُمَثِّلُ لَهُ الشَّيَاطِين نَحْوَ أَبِيهِ وَنَحْوَ أَخِيهِ» قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ وَالقَوْمُ فِي اهْتِمَامٍ وَغَمٍّ مِمَّا حَدَّثَهُمْ، قَالَتْ: فَأَخَذَ بِلُحْمَتَيِ البَابِ، فَقَالَ: «مَهْيَمْ أَسْمَاءُ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ خَلَعْتَ أَفْئِدَتَنَا بِذِكْرِ الدَّجَّالِ، قَالَ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَنا حَجِيجُهُ، وَإِلَّا فَإِنَّ رَبِّي خَلِيفَتِي عَلى كُلِّ مُؤْمِنٍ» قَالَتْ أَسْمَاء: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ إِنَّا لَنَعْجِنُ عَجِينَنَا، فَمَا نَخْبِزُهُ حَتَّى نَجُوعَ فَكَيْفَ بِالمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ: «يُجْزِيهِمْ مَا يُجْزِي أَهْلَ السَّمَاءِ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ».

أخرجه أحمد (٢٧٥٦٧) و(٢٧٥٧٩)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٣٥٤ وقال: رواه كلَّه أحمد والطبراني من طرق، وفي إحداها: يكون قبل خروجه سنون خمس جُدب. وفيه شهر بن حَوْشَب، وفيه ضَعْفٌ، وقد وُثِّق.

٤٠٨٤- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَمْكُثُ الدَّجَّالُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالجُمُعَةِ، وَالجُمُعَةُ كَاليَوْمِ، وَاليَوْمُ كَاضْطِرَامِ السَّعَفَةِ فِي النَّارِ».

إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، أخرجه أحمد (٢٧٥٧١)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣٤٧ مطوَّلاً، وعزاه للطبراني وأعلَّه بشهر.

٤٠٨٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ السِّيجَان».

إسناده ضعيف جداً لضعف أبي هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين متروك.

السيجان: جمع الساج: وهو طيلسانٌ أخضر، وقال الأزهريُّ: هو الطيلسان المقور يُنسج كذلك.

٤٠٨٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ آدَمِ الرِجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا، فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً مُتَّكِئاً عَلى رَجُلَيْنِ، أَوْ عَلى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالُوا: هٰذَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، قَالَ: ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أَعْوَرَ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَن هٰذَا؟ قَالُوا: هٰذَا المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٩٩٩) عن عبد الله بن مسلمة عن مالكٍ، وأخرجه مسلم (١٦٩) عن محمد بن إسحاق المُسيِّبي، عن أنس بن عياضٍ، عن موسى بن عُقبة، عن نافعٍ وقال في الدَّجال: «ورأيت وراءه رجلاً جَعْداً قَطَطاً أعورَ عَيْن اليمنى كأشبه مَنْ رأيتُ من الناس بابن قطنٍ واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت».

وبَعْضُ الناس يقولون للدَّجال: مِسِّيحٌ بكسر الميم وتشديد السِّين على وزن فِعِّيل، وليس بشيء، بل هما في اللفظ واحدٌ، وسمي عيسى عليه السلام

مَسيحاً، لأنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهةٍ إلا برأ. وقال أبو عُبيدٍ: المسيح أصله بالعِبرانيَّة مَشيحا، فعُرب كما عرَّب موسى.

وأما الدَّجال، فسمي مَسيحاً، لأنه ممسوحُ إحدى العينين، والمسيح الأعور وبه سمِّي الدجال.

٤٠٨٧- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ زَيْدٍ الأنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَمِّي مُجَمِّعَ بْنَ جارِيةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ».

صحيح لغيره، وأخرجه الترمذي (٢٢٤٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وأخرجه أحمد (١٥٤٦٦)، وصحَّحه ابن حبان (٦٨١١) وفيه تمامُ تخريجه.

وبابُ لُدٍّ «اللُّد»: منطقة معروفة في فلسطين.

حديث تميم الداري عن الدجال

٤٠٨٨- عن الشعبي قال حَدَّثَتْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَادَى: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ، فَخَرَجَ النَّاسُ إلَى المَسْجِدِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: «أنْذَرْتُكُمُ الدَّجَّالَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ألاَ وَإنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيمَا مَضَى، وَهُوَ كَائِنٌ فِيكُمْ أيَّتُهَا الأُمَّةُ، ألا إنَّ تَمِيماً الدارِيَّ أخْبَرَنِي أنَّ رَكْباً رَكِبُوا بَحْرَ الشَّامِ فِي نَفَرٍ مِنْ لَخمٍ وَجُذَامَ، فَألْقَتْهُمُ الرِّيحُ إلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِهِ، فَإذَا هُمْ بِالدَّهْمَاء تَجُرُّ شَعَرَهَا، قَالُوا: مَا أنْتِ؟ قَالَتْ: أنَا الجَسَّاسَةُ، قَالُوا: فَأخْبِرِينَا، قَالَتْ: مَا أنَا بِمُخْبِرِكُمْ، وَلاَ أنا بِمُسْتَخْبِرِكُمْ، وَلٰكِنِ ائْتُوا رَجُلاً فِي هٰذَا الدَّيْرِ، فَإنَّهُ إلَى رُؤْيَتِكُمْ بِالأشْوَاقِ، قَالَ: فَدَخَلُوا فَإذَا رَجُلٌ

مَمْسُوحُ العَيْنِ، مُوثَقٌ بِالحَدِيدِ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قُلْنَا: نَحْنُ العَرَبُ، قَالَ: مَا فَعَلَتِ العَرَبُ؟ قُلْنَا: ظَهَرَ فِيهِمْ نَبِيٌّ يَتِيمٌ يَدْعُو إِلَى اللهِ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ النَّاسُ؟ قُلْنَا: تَبِعَهُ قَوْمٌ، وَتَرَكَهُ قَوْمٌ، قَالَ: أَمَا إِنْ هُمْ يَتَّبِعُونَهُ وَيُصَدِّقُونَهُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَتِ العَرَبُ أَيْشٍ لِبَاسُهُمْ؟ قُلْنَا: صُوفٌ وَقُطْنٌ تَغْزِلُهُ نِسَاؤُهُمْ، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَيْهَاتَ، ثُمَّ قَالَ: مَا فَعَلَتْ عَيْنُ زُغَرَ؟ قُلْنَا: كَثِيرٌ مَاؤُهَا، تَتَدَفَّقُ، تُرْوِي مَنْ أَتَاهَا، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَيْهَاتَ مَا فَعَلَ نَخْلُ بَيْسَانَ؟ قُلْنَا: يُؤْتِي جَنَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَيْهَاتَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَطْلَقَنِي اللهُ مِنْ وَثَاقِي هٰذَا لَمْ يَبْقَ مَنْهَلٌ إِلَّا دَخَلْتُهُ إِلَّا مَكَّةَ وَطَيْبَةَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذِهِ طَيْبَةُ حَرَّمْتُهَا كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِكَّةٍ وَنَقْبٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ شَاهِرٌ بِالسَّيْفِ يَمْنَعُهَا مِنَ الدَّجَّالِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

قولـه: هيهات كأنه يريدُ تغيُّرَ أحوالِ هذه الأشياء، فقد روى ٱبنُ بُرَيدةَ، عن الشعبيِّ في هذا الحديث أنه قال: «أخبروني عن نخل بَيْسانَ هل يُثْمِر؟ قلنا: نعـم، قال: أما إنهـا توشك ألا تثمـر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبريـة هل فيها ماءٌ؟ قلنا: هي كثيرةُ الماء، قال: أما إنَّ ماءها يوشك أن يذهب».

٤٠٨٩- عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَأَتْحَفَتْنَا رُطَباً، وَسَقَتْنَا سَوِيقَ سُلْتٍ، فَسَأَلْتُهَا عَنِ المُطَلَّقَةِ ثَلَاثاً أَيْنَ

تَعْتَدُّ، فَقَالَتْ: أذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ طَلَّقَنِي بَعْلِي أنْ أعْتَدَّ فِي أهْلِي، وَأنْ أتَحَوَّلَ، قَالَتْ: فَنُودِيَ يَوْمَئِذٍ: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ، فَانْطَلَقْتُ فِيمَنِ انْطَلَقَ مِنَ النِّسَاءِ، وَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الأوَّلِ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا يَلِي الصَّفَّ المُؤَخَّرَ مِنَ الرِّجَالِ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ بَنِي عَمٍّ لِتَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَكِبُوا البَحْرَ، وَإنَّ سَفِينَتَهُمْ قَذَفَتْهُمْ إلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ البَحْرِ، فَرَأوْا هُنَالِكَ دَابَّةً يُوَارِيهَا شَعْرُهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إلَيْهَا القَوْمُ، قَالَتْ: أنَا الجَسَّاسَةُ إنَّ فِي ذٰلِكَ الدَّيْرِ مَنْ هُوَ إلَى خَبَرِكُمْ بِالأشْوَاقِ أنْ يَرَاكُمْ، فانْطَلَقَ القَوْمُ، فَرَأوْا رَجُلاً مُكَبَّلاً فِي الحَدِيدِ تَضَاوَرَ كأنَّهُ أعْجَبَهُ دُخُولُهُمْ، فَسَألَهُمْ: أخَرَجَ صَاحِبُكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَاتَّبِعُوهُ، ألاَ تُخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ أطْعَمَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَأخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ مَا فَعَلَتْ؟ قُلْنَا: كَثِيرَةُ المَاءِ، قَالَ: وَعَيْنُ زُغَرَ؟ قُلْنَا: وَعَيْنُ زُغَرَ، قَالَ: أمَا إنِّي لَوْ خَرَجْتُ، لَوَطِئْتُ الأرْضَ كُلَّهَا غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ». وَكَأنِّي أنْظُرُ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ بِمِخْصَرَتِهِ بِيَدِهِ: «وَهٰذِهِ طَيْبَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٤٢) (١٢٠).

وسميت المدينةُ طيبة، لأنها طاهرةٌ من الخَبث والنِّفاق، كما قال عليه السلام: «المدينةُ كالكير تنفي خبثها ويَنصَعُ طيِّبُها»، أخرجه البخاري (١٨٨٣).

قوله: تضاور، أي: يُظهِرُ الضُرَّ الذي به من الضَّوْرِ وهو الضُرُّ. والجسَّاسَةُ يقال: إنها تجسسُ الأخبار للدَّجال. وقوله: نخلُ بيسان أطعمَ، أي: هل أثمرَ؟ يقال: بأرض فلانٍ من الشجر المطعِم كذا، أي: المثمِر.

و«عَيْنُ زُغَر» بزاي معجمة مضمومة ثم غين مفتوحة: بلدةٌ معروفةٌ في الجانب القِبْلي من الشام.

و«السُّلْت» بضم السين وسكون اللام: حبٌّ يشبه الحنطة أو الشعير.

باب

ذكر ابن الصياد

٤٠٩٠- عن عبد الله بن عمر أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فِي أُطمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَرَضَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ»، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ: «خُلِّطَ الأَمْرُ عَلَيْهِ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئاً»، فَقَالَ: هُوَ الدُّخُّ، قَالَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْذَنُ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ، لَا تُسَلَّطُ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ، فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ» قَالَ سَالِمٌ: فَسَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: انْطَلَقَ بَعْدَ ذٰلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأُبَيُّ ابْنُ كَعْبٍ الأَنْصَارِيُّ يَؤُمَّانِ النَّخْلَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، طَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئاً قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ، وَابْنُ صَيَّادٍ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا

رَمْرَمَةٌ أوْ زَمْزَمَةٌ، فَرَأتْ أُمُّ صَيَّادٍ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ، فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: أيْ صَافِ ـ وَهُوَ اسْمُهُ ـ هٰذَا مُحَمَّدٌ، فَتَنَاهَى ابْنُ صَيَّادٍ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ» قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأثْنَى عَلى اللهِ بِمَا هُوَ أهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إلَّا وَقَدْ أنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلٰكِنِّي سَأقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أنَّهُ أعْوَرُ، وَأنَّ اللهَ لَيْسَ بِأعْوَرَ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦١٧٣ و٦١٧٤)، ومسلم (٢٩٣٠).

ورُوِيَ عن أبي سعيد الخدريِّ في هذه القصة قال له رسول الله ﷺ: «ما ترى؟» قال: أرى عرشاً على الماء، فقال رسول الله ﷺ: «يَرى عرش إبليس على البحر، وما ترى؟» قال: أرى صادقيْنِ وكاذباً، أو كاذبينِ وصادقاً، فقال رسول الله ﷺ: «لُبِّسَ عليه دعوه» وهي رواية مسلم (٢٩٢٥).

قوله: «فرضَّه» بالضاد المعجمة التي معناها الكسر، قال الخطابيُّ: هو غلطٌ: والصواب: فرصَّه بالصاد غير المعجمة أي: تناوله، فضغطه حتى ضم بعضه إلى بعضٍ، ومنه رصُّ البناء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ﴾ [الصف: ٤] وقال يونس عن الزُهريِّ: فرفضه.

وقوله: «خَبَّأتُ لك خَبيئاً» كان قد خبأ له ﴿يوم تأتي السماء بدُخانٍ مبين﴾ والدُّخُّ: الدخان. قوله: «فلن تعدو قدركَ» قال الخطابيُّ: يحتمِل وجهين أحدهما: يريد أنه لا يبلغُ قدرَهُ أن يُطالع الغيبَ من قِبل الوحي الذي يوحى به إلى الأنبياء، ولا من قِبل الإلهام الذي يُلقى في روع الأولياء، وإنما كان الذي جرى على لسانه شيئاً ألقاه الشيطان حين سمع النبيَّ ﷺ يُراجع به

أصحابه قبل دخوله النخل. والآخر، أي: لن تسبق قدَرَ الله فيك وفي أمرك، وقد يَستدل به بعضُ أهل العلم على صحة إسلام غير البالغ ولولا ذلك لم يستكشفه رسول الله ﷺ عن الإيمان وهو إذ ذاك غير بالغ.

وقوله: «يختِل» أي: يَطلب أن يأتيه من حيث لا يَعلم، فيسمع ما يقوله في خلوته، ومنه خَتلُ الصيدِ وهو أن يُؤتى من حيث لا يشعر، فيُصاد.

قوله: «له فيها رَمْرَمَةٌ أو زَمْزَمَةٌ» وقال يونس عن الزهري: زَمْزَمةٌ بالزاي، وقال عُقيل عن الزهري: رمرمةٌ بالراء، وقال معمرٌ عن الزُهري: رَمْزَةٌ، ويروى: زَمْرَةٌ، أي: رَمْزَةٌ، وهذه ألفاظٌ معانيها متقاربةٌ، الرَّمرمَةُ تكون بمعنى الحركة، ففي حديث عائشة كان له - عليه السلام - وَحْشٌ، فإذا خرج لعبَ، وإذا جاء، رَبَضَ، فلم يترمرم ما دام في البيت. أي: لم يتحرك. أخرجه أحمد (٢٤٨١٨) بسندٍ قوي. والزمزمةُ بالزاي: الصوت، يقال: زمزمَ يُزمزمُ زمزمةً: إذا صَوَّتَ، وقيل في شأن زمزم سميت به لصوتٍ كان من جبريل عندها يشبه الزمزمةَ، وقيل: لأن هاجر زمَّتِ الماء بالتحجير عليه، وأصلها زَمَّم، ومن قال رمزةٌ، فمن الرمز وهو الإشارة، وقد يكون بالعينين والحاجبين والشفتين، وأصله الحركة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إلا رمزاً﴾ [آل عمران: ٤١] قال مجاهدٌ: إيماءً بشفتيه، ومن قال: زمرةٌ بتقديم الزاي المعجمة، فلعله كان يتغنى مع نفسه بشيء. قال الأصمعيُّ: زمَرَ: إذا غنَّى، وفي الحديث: نهى عن كسب الزمارة، أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٦/١٢٦. قيل: معناه المغنِّيةُ. قوله: «لو تَرَكَتْهُ بيَّنَ» أي: بيَّنَ ما في نفسه.

٤٠٩١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقِيتُ ابْنَ صَيَّادٍ يَوْماً وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَإِذَا عَيْنُهُ قَدْ طَفَتْ، وَكَانَتْ عَيْنُهُ خَارِجَةً كَعَيْنِ الجَمَلِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا، قُلْتُ: يَا ابْنَ الصَّيَّادِ أَنْشُدُكَ الله مَتَى طَفَتْ عَيْنُكَ؟ فَقَالَ: لَا

أدْرِي وَالرَّحمٰنِ، قُلْتُ: كَذَبْتَ لَا تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ، فَنَخَرَ ثَلَاثاً، فَزَعَمَ اليَهُودِيُّ أنِّي ضَرَبْتُ بِيَدِي عَلى صَدْرِهِ، قَالَ: وَلَا أعْلَمني فَعَلْتُ ذٰلِكَ، فَقُلْتُ: اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ، فَقَالَ: أجل لَعَمْرِي وَأعْدُو قَدْرِي فَكَأنَّمَا كَانَ سِقَاءً انْقَشَّ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لحفْصَةَ، فَقَالَتِ: اجْتَنِبْ هٰذَا الرَّجُلَ، فإنّا نَتَحَدَّثُ أنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ عِنْدَ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا».

إسناده صحيح، وذكره الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٢٧٤ وعزاه لعبد الرزاق في «المصنَّف».

٤٠٩٢- عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَيَّادٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ مَا أرَدْتَ مِنَ ابْنِ صَيَّادٍ، أمَا عَلِمْتَ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٣٢).

قال أبو سليمان الخطابيُّ في «معالم السنن» ٤/ ٣٢٢: وقد اختلف الناس في أمر ابن صيَّادٍ اختلافاً شديداً، وأشكلَ أمرُه حتى قيل فيه كلُّ قولٍ، وقد يُسأل عن هذا، فيقال: كيف يُقارُّ رسولُ الله ﷺ رجلاً يدَّعي النُبوَّة كاذباً، ويتركه بالمدينة يُساكنُه في داره، ويجاوره فيها، وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان، وقوله بعد ذلك: «اخسأ فلن تعدو قدْرك»؟!

قال أبو سليمان: والذي عندي أنَّ هذه القصةَ إنما جرت معه أيامَ مهادنةِ رسولِ الله ﷺ اليهودَ وحلفاءَهم، وذلك أنه بعد مَقدمه المدينة كتب بينه

وبينهم كتاباً صالحهم فيه على أن لا يُهاجوا، وأن يُتركوا على أمرهم، وكان ابن الصيَّاد منهم، أو دخيلاً في جملتهم، وكان يَبلغ رسول الله خبرُه وما يدَّعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب، فامتحنوه بذلك ليروزَ به أمْره، ويخبر به شأنه، فلما كلَّمه، عَلم أنه مبطل، وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رئيٌ من الجن، أو يتعاهده شيطان، فيلقي على لسانه بَعْضَ ما يتكلم به، فلما سمع منه قوله الدُّخ، زَبَرَهُ، فقال: «اخسأ فلن تعدو قدْرك» يريد أن ذلك شيءٌ ألقاه إليه الشيطان، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قِبلِ الوحي السماويِّ، إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يُلهمون العلم، ويصيبون بنور قلوبهم الحقَّ، وإنما كانت له ناراتٌ يُصيب في بعضها، ويخطىء في بعض، وذلك معنى قوله: يأتيني صادقٌ وكاذب. فقال له عند ذلك: «خُلِّطَ عليك» فالجملة من أمرهِ أنه كان فتنةً قد امتحنَ اللهُ به عباده المؤمنين، ليهلك من هلك عن بيِّنة، وقد امتحن قوم موسى عليه السلام في زمانه بالعجل، فافتتن به قومٌ وأهلِكوا، ونجا من هَداه الله وعصمه منهم.

وقد اختلفت الرِّوايات في أمره وفيما كان من شأنه بعد كبره، فروي أنه قد تاب عن ذلك القول، ثم إنه مات بالمدينة، وإنهم لما أرادوا الصلاةَ عليه، كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس، وقيل لهم: اشهدوا.

٤٠٩٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ الصَّيَّادِ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ لِي: قَدْ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَّالُ أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ المَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالمدِينَةِ وَهَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ فَلَبَّسَنِي.

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٢٧).

وذهب ابن عمر إلى أن ابن صيَّاد هو الدَّجال، أخرجه أبو داود (٤٣٣٠) بسندٍ صحيح.

وقال محمد بن المنكدِر: رأيتُ جابرُ بَنَ عبد الله يحلِفُ بالله: إن ابن الصائد الدَّجال، فقلتُ: تحلِفُ بالله؟ قال: إني سمعتُ عمر يحلفُ على ذلك عند النبي ﷺ، فلم يُنكرهُ النبي ﷺ، أخرجه البخاري (٧٣٥٥)، ومسلم (٢٩٢٩).

ويروى أنه قيل لجابر: إنه أسلمَ؟ فقال: وإن أسلمَ، فقيل: إنه دخل مكة، وكان بالمدينة، فقال: وإن دخل، أخرجه أبو داود (٤٣٢٨) بسندٍ حسن.

وروي عن جابر أنه قال: فقدنا ابن صيَّاد يوم الحرَّة، أخرجه أبو داود (٤٣٣٢) بسندٍ صحيح، وهذا يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة والله أعلم.

وروي عن أبي ذرٍّ أنه كان يقول: هو الدَّجال، وقال: قالت أمه: حملته اثني عشر شهراً، فلما وقع، صاح صياح ابن شهرين، وكان يَشبُّ في اليوم الواحد شباب الصبي لشهرٍ، أخرجه أحمد (٢١٣١٩) بسندٍ حسن.

وروي عن عبد الرحمن بن أبي بكرةَ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يمكث أبَوا الدَّجال ثلاثين عاماً لا يولد لهما، ثم يولد لهما غلامٌ أعورُ وأضرسُ وأقلُّه منفعةً، تنام عيناه ولا ينام قلبه» فسمعنا بمولودٍ في اليهود بالمدينة، فذهبتُ أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه؟ فإذا نعتُ رسول الله ﷺ، فقلنا: هل لكما ولدٌ؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا، ثم وُلدَ لنا غلامٌ أعورُ أضرسُ، وأقله منفعة، تنام عيناه، ولا ينام قلبه. أخرجه أحمد (٢٠٤١٨)، والترمذي (٢٢٤٩) بسندٍ ضعيف.

٤٠٩٤- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ امْرَأَةً مِنَ اليَهُودِ بِالمَدِينَةِ وَلَدَتْ غُلَاماً مَمْسُوحَةً عَيْنُهُ، طَالِعَةً ناتئه، فَأَشْفَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ الدَّجَّالَ، فَوَجَدَهُ تَحْتَ قَطِيفَةٍ يُهَمْهِمُ، فَآذَنَتْهُ أُمُّهُ، فَقَالَتْ: يَا عَبْد اللهِ هٰذَا أَبُو القَاسِمِ، فَخَرَجَ مِنْ القَطِيفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَهَا قَاتَلَهَا اللهُ؟ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبَيَّنَ» ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ الصَّائِدِ مَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى حَقّاً، وَأَرَى بَاطِلاً، وَأَرَى عَرْشاً عَلَى المَاءِ قَالَ: «فَلُبِّسَ» فَقَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَالَ هُوَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ» ثُمَّ خَرَجَ وَتَرَكَهُ، ثُمَّ أَتَى مَرَّةً أُخْرَى، فَوَجَدَهُ فِي نَخْلٍ لَهُ يُهَمْهِمُ، فَآذَنَتْهُ أُمُّهُ، فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ هٰذَا أَبُو القَاسِمِ قَدْ جَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَهَا قَاتَلَهَا اللهُ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبَيَّنَ» قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَطْمَعُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئاً، فَيَعْلَمَ هُوَ هُوَ أَمْ لَا، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الصَّائِدِ مَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى حَقّاً، وَأَرَى بَاطِلاً، وَأَرَى عَرْشاً عَلَى المَاءِ، قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ الله؟» فقال هو: أَتَشْهَدُ أَنِّي رسولُ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ» فَلُبِّسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَتَرَكَهُ، ثُمَّ جَاءَ فِي الثَّالِثَةِ أَمِ الرَّابِعَةِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَأَنَا مَعَهُ، قَالَ: فَبَادَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَرَجَا أَنْ يُسْمِعَهُمْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئاً، فَسَبَقَتْهُ أُمُّهُ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ هٰذَا أَبُو القَاسِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَهَا قَاتَلَهَا اللهُ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبَيَّنَ» فَقَالَ: «يَا ابْنَ صَائِدٍ مَا تَرَى؟» قَالَ: أرى حَقّاً وَأَرَى بَاطِلاً، وَأَرَى عَرْشاً عَلَى المَاءِ، فَقَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ» فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ صَائِدٍ إِنَّا قَدْ خَبَأْنَا لَكَ خَبِيئَةً فَمَا هُوَ؟»

قَالَ: الدُّخُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْسَأْ، اخْسَأْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: إِئْذَنْ يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ، فَلَسْتَ صَاحِبَهُ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَإِلَّا يَكُنْ هُوَ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ العَهْدِ» قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُشْفِقاً أَنَّهُ الدَّجَّالُ.

أخرجه أحمد (١٤٩٥٥) وفيه تدليسُ أبي الزبير، وباقي رجاله ثقات.

فيه دليل على أنه كان من أهل العهد، ولذلك مَنع النبي عليه السلام عن قتله.

بابُ

نزولِ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه

٤٠٩٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَادِلاً يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، فَيَفِيضُ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

قوله: «يكسِر الصَليب» يريد إبطالَ النصرانيةِ، والحكمَ بشرع الإسلام، ومعنى قتل الخنزير: تحريم اقتنائه وأكلِه وإباحةِ قتلِه، وفيه بيانُ أنَّ أعيانَها نجسةٌ، لأن عيسى عليه السلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام، والشيء الطاهر المنتفع به لا يُباح إتلافه.

وقوله: «ويضعُ الجزية» معناه: أنه يضعها عن أهل الكتاب، ويحملهم على الإسلام، فقد روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في نزول عيسى «وتهلك في زمانه المِلَلُ كلُّها إلا الإسلام، ويهلك الدجال، فيمكث في الأرض أربعين

سنة، ثم يُتوفى، فيصلي عليه المسلمون»، حديث صحيح، أخرجه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤).

وقيل: معنى وَضْع الجزية: أنَّ المالَ يكثُرُ حتى لا يوجد محتاجٌ ممن يُوضَع فيهم الجزية، يدل عليه قوله عليه السلام: «فيفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ».

٤٠٩٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَادِلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ، وَلَيَتْرُكَنَّ القِلاَصَ، فَلاَ يَسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى المَالِ، فَلاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٥٥) (٢٤٣).

قوله: «القِلاص» بكسر القاف، جمع قَلوص وهي الشابَّةُ من الإبل. والمعنى: أنَّه يُزْهَدُ فيها ولا يُرْغَبُ في اقتنائها؛ لكثرة الأموال وقلَّة الآمال وعَدَمِ الحاجة والعِلْمِ بقُرْبِ القيامة. وإنَّما ذُكِرت القِلاصُ لكونها أشرفَ الإبل التي هي أنفسُ الأموال عند العرب. أفاده النووي في «شرح مسلم» ١/ ٤٧٠.

٤٠٩٧- عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) (٢٤٤).

وقال معمرٌ عن الزهريِّ: «فأمَّكم أو إمامكم منكم» وقال ابن أبي ذئب عن ابن شهابٍ: «فأمَّكم منكم» قال ابن أبي ذئب في معناه: فأمَّكم بكتاب ربكم، وسنَّة نبيكم ﷺ، أخرجه مسلم (١٥٥) (٢٤٦).

٤٠٩٨- عَنْ حَنْظَلَةَ الأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ فَجِّ الرَّوْحَاءِ بِالحَجِّ أَوْ بِالعُمْرَةِ أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٢٥٢)، وأحمد (٧٢٧٣) وفيه تمام تخريجه.

وروي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لَيُحَجَّنَّ البيتُ ولَيُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوجَ ومأجوجَ»، أخرجه البخاري (١٥٩٣).

قوله: «فجّ الرَّوْحاء»: هو موضع بين مكة والمدينة على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة، وكان طريقَ رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحج.

هذا، وقد نبتت نابتةُ ضلالةٍ في الأعصارِ المتأخرة أنكرت كثيراً من أخبارِ نزول المسيح عليه السلام وحرَّفَتْ فيها تحريفاً شنيعاً، وتمثل ذلك في دعوة الشقي المخذول غلام أحمد ميرزا مؤسس (القاديانية) فتصدَّى له إمامُ العصر المحدِّث العلامة محمد أنور الكشميري وكتب كتابه النفيس «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» وهو مطبوع متداول بتحقيق العلامة المتفنن الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.

بابُ

المهدي

٤٠٩٩- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً».

رواه أحمد في «المسند» (٧٧٣)، وأبو داود (٤٢٨٣) في أول كتاب المهدي، وإسناده حسن، وقد سكت عنه المنذري، وقال في «عون المعبود» سنده قوي، وله شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه ابن حبان (٥٩٥٣) وآخر من حديث عبد الله بن مسعود، أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٢) في الفتن: باب ما جاء في المهدي، وسنده حسن، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٤١٠٠- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَلاَءً يُصِيبُ هٰذِهِ الأُمَّةَ حَتَّى لَا يَجِدَ الرَّجُلُ مَلْجَأً يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللهُ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلأُ بِهِ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الأَرْضِ، لَا تَدَعُ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئاً إِلَّا صَبَّتْهُ مِدْرَاراً، وَلَا تَدَعُ الأَرْضُ مِنْ نَبَاتِهَا شَيْئاً إِلَّا أَخْرَجَتْهُ حَتَّى يَتَمَنَّى الأَحْيَاءُ الأَمْوَاتَ، يَعِيشُ فِي ذٰلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ.

هو في «مصنف عبد الرزاق» (٢٠٧٧٠).

وفي إسناده أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين متروك ومنهم من كذبه، ورواه الحاكم ٤/٥٥٧ مختصراً من طريق آخر بلفظ «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» وصححه ووافقه الذهبي.

ويُروى هذا من غير وجهٍ عن أبي سعيد الخدريّ.

وروي عن سعيد بن المسيِّب، عن أم سَلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهديُّ من عِترتي من ولدِ فاطمةَ»، أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، وابن ماجه (٤٠٨٦) بسندٍ حسن.

ويروى: «يَعمل في الناس بسُنة نبيِّهم، فيلبث سبع سنين، ثم يُتوفى ويُصلي عليه المسلمون»، أخرجه أحمد (٢٦٦٨٩)، وأبو داود (٤٢٨٦) بسندٍ حسن.

وروي عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «المهديُّ مني أجلى الجبهةِ أقنى الأنف يملأ الأرض قِسْطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجَوراً يملِك سنين» إسناده حسن، أخرجه أحمد (١١١٣٠)، وأبو داود (٤٢٨٥) و(٤٢٨٨) وغيرهما.

وعن أبي سعيد الخدريِّ، عن النبيّ ﷺ في قصة المهدي قال: «فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمِله»، أخرجه الترمذي (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٤٠٨٣) بسندٍ ضعيف لضعف زيد العمي أحد رواته.

٤١٠١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يُعْطِي المَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩١٤).

بابُ

كلامِ السباع

٤١٠٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلى تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَقَرَّ، وَقَالَ: عَمَدْتُ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللهُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي؟! فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ كَاليَوْمِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هٰذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلَاتِ بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا

مَضَى وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيّاً، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ وَأَسْلَمَ، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهَا أَمَارَاتٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ، فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى يُحَدِّثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ».

أخرجه أحمد (٨٠٦٣)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٠٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٧١) وسنده ضعيف لضعف شهر بن حَوْشب.

ويُروى هذا عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدريِّ، وفيه قال النبي ﷺ: «صَدق الراعي ألا إن مِن أشراط الساعة كلامَ السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى تُكَلِّم السِّباعُ الإنسَ، وتُكلم الرجلَ نعلُهُ وَعَذَبَةُ سوطه، ويُخبره فخذه بحديثِ أهلِه بعده»، أخرجه أحمد (١١٧٩٢)، والحاكم ٤/٤٦٧، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي (٢١٨١) مختصراً وحسنه.

بابُ

«لا تقومُ الساعةُ إلا على شرارِ الخلق»

يَرْوِيهِ عَبْدُ اللهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

أخرجه مسلم (٢٩٤٩).

٤١٠٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ اللهُ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (١٤٨)، والترمذي (٢٢٠٧)، ومعنى قوله: «حتى لا يقال في الأرض: الله الله» أي: لا يبقى في الأرض مسلم يقول كلمة التوحيد: لا إله إلا الله كما جاء مفسراً في حديث أنس هذا عند ابن

حبان (٦٨٤٨) بسند صحيح، وقد جانب الصواب من استنبط من المتأخرين من هذا الحديث مشروعية الذكر بالاسم المفرد، وذلك لأنه لم يشرع في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور عن سلف الأمة المشهود لها بالخيرية، والذكر عبادة فلا مجال للرأي فيه، ولأن الذكر ثناء، وهو لا يكون إلا بجملة تامة يحس السكوت عليها مثل لا إله إلا الله، ومثل لا حول ولا قوة إلا بالله، ومثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر وما شابه ذلك من الأذكار الثابتة عنه ﷺ، والاسم وحده لا يحسن السكوت عليه ولا هو جملة تامة كما هو معلوم عند أهل العربية.

٤١٠٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ اللهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٤٨).

٤١٠٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الخَلْصَةِ» وَكَانَتْ صَنَماً تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

ومعنى الخبر: حتى ترجع دَوْسٌ عن الإسلام، فتطوف نساؤهم بذي الخَلصَةِ، وتضطرب ألياتها كذلك فِعلهم في الجاهلية، والخلصة: بيتٌ فيه صنمٌ يقال له: الخلصةُ، وقيل: الخلصةُ بيتُ الكعبة اليمانية أنفذَ إليها رسول الله ﷺ جَرير بن عبد الله، فخرَّبها.

٤١٠٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩٢٤)، وابن حبان (٦٨٣٦) وفيه تمام تخريجه.

٤١٠٧- عَنْ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ رِيحٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ يُقْبَضُ فِيهَا رُوحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ».

صحيح لغيره، أخرجه أحمد (١٥٤٦٣)، والبزار (كشف الأستار: ٣٤١٧) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٢ وقال: رجالهُ رجالُ الصحيح إلّا أنَّ نافعاً لم يسمع من عيَّاش.

٤١٠٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِنَ اليَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الحَرِيرِ، لَا تَدَعُ أَحَداً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١١٧). وليست هذه الأحاديث معارضة لقوله ﷺ: «لا تزالُ طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ» لأنَّ معنى هذا أنهم لا يزالون على الحقِّ حتى تقبضهم هذه الريح اللينةُ قُرْبَ القيامة وعند تظاهرِ أشراطِها.

٤١٠٩- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالعُزَّى» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، أَنَّ ذٰلِكَ تامّاً، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذٰلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ

مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

٤١١٠- عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ أَشَرُّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

وقد اسْتُشْكِل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشرِّ دون التي قبلها كزمن عمر بن عبد العزيز وهو متأخر عن الحجَّاج، وحمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، ولما سئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج قال: لا بُدَّ للناس من تنفيس. وقال غيره: إنَّ المرادَ بالتفضيل تفضيل مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثيرٌ من الصحابة وليس كذلك عصر عمر. والزمان الذي فيه الصحابة خيرٌ من غيره لقوله ﷺ: «خير القرون قرني». وذكر الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٢٤ أن لابن مسعودٍ كلاماً هو الأولى بالاتباع هو قوله: «لا يأتي عليكم يومٌ إلّا وهو شرٌّ من اليوم الذي كان قبله حتى تقومَ الساعة، لستُ أعني رُخاءً من العيش يُصيبُه ولا مالاً يُفيدُهُ، ولكن لا يأتي عليكم يومٌ إلّا وهو أقلُّ علماً من اليوم الذي مضى قَبْله، فإذا ذهب العلماءُ فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون».

وقال عبد الله بن مسعود، لأهلُ بيتي أهوَن عليَّ مَوتاً من عدتهم من الجِعلان، ولا يأتي عليكم عامٌ إلا وهو شرٌّ من الآخر، ولبئس عبد الله أنا إن كذبتُ.

وقال عبد الله بن مسعود: لا تقومُ الساعةُ إلا على شرار الناس كرِجْرِجَةِ الماء الخبيث. قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/٢٠٦: الرِّجْرِجَةُ بكسر الراءين: هي بقيةُ الماء في الحوض الكَدِرةُ المختلطة بالطين لا يمكن شربها، ولا يُنتفع بها.

بابُ

طلوع الشمس من مغربها

٤١١١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ أوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلى النَّاسِ ضُحىً، وَأيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالأُخْرَى عَلى أثَرِهَا قَرِيباً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٤١)، وأبو داود (٤٣١٠) وغيرهما.

٤١١٢- عَنْ أبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «تَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ قَالَ: «فإنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ فَتَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾[يس:٣٨]».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

٤١١٣- عَنْ أبِي ذَرٍّ قَالَ: سَألْتُ النَّبيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٨٠٣)، ومسلم (١٥٩) (٢٥١).

قال أبو سليمان الخُطَّابي في قوله عز وجل: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ إن أهل التفسير وأصحاب المعاني قالوا فيه قولين، قال بعضهم: معناه: أي: لأجلٍ قُدِّرَ لها يعني انقطاع مدّة بقاء العالم، وقال بعضهم: مستقرُّها: غايةُ ما يُنتهى إليه في صعودها وارتفاعها لأطول يوم في الصيف، ثم تأخذ حتى تنتهي إلى أقصى مشارق الشتاء لأقصرِ يوم في السنة.

وأما قوله عليه السلام: «مُستقرُّها تحتَ العرش» فلا نُنكِرُ أن يكون لها استقرارٌ تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيبٍ، فلا نكذِّب به، ولا نكيِّفه، لأنَّ عِلْمَنا لا يحيط به، ويحتمل أن يكون المعنى: أنَّ عِلم ما سألتَ عنه من مستقرِّها تحت العرش في كتابٍ كتِب فيه مبادىء أمور العالم ونهاياتها والوقت الذي تنتهي به مدتها، فينقطع دوران الشمس، وتستقِرُّ عند ذلك، فيبطل فعلها وهو اللوح المحفوظ. وقال أبو سليمان: وفي هذا يعني في الحديث الأول إخبارٌ عن سجود الشمس تحت العرش، فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرشَ في مسيرها، وليس في سجودها تحت العرش ما يُعوِّقها عن الدَّأب في سيرها، والتصرف لِما سُخِّرت له. وأما قوله عز وجل: ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عينٍ حمِئةٍ﴾ [الكهف: ٨٥] فهو نهاية مَدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب، وليس معنى قوله: ﴿تغرب في عين حمئةٍ﴾ أنها تسقط في تلك العين فتغمرها، وإنما هو خبرٌ عن الغاية التي بلغها ذو القرنين في مسيره حتى لم يجد وراءها مسلكاً، فوجد الشمس تتدلى عند غروبها فوق هذه العين، وكذلك يتراءى غروب الشمس لمن كان في البحر، وهو لا يرى الساحل كأنها تغيب في البحر والله أعلم.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الشمس والقمرُ بحُسبانٍ﴾ [الرحمن: ٥] وقوله عز وجل: ﴿والشمس والقمر حسباناً﴾ [الأنعام: ٩٦]، أي: يجريان بحسابٍ معلـومٍ، وعلى منازلَ ومقاديرَ لا يجاوزانها، قال الله سبحانـه وتعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعُرجون القديم﴾ [يس: ٣٩]. وقيل: حُسبانٌ جمع حساب، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجدها تغـرُب في عَينٍ حمئـةٍ﴾ أي: في رأي العين، فمـن قرأها: حامية بلا همـزٍ: أراد الحارة، ومن قرأ: حمئةً بلا ألِفٍ مهموزاً: أراد عيناً ذات حمأةٍ، وهو الطين الأسودُ يقـال: حمأتُ البئر إذا نزعتَ منها الحمأةَ، وأحمأتها: إذا ألقيتَ فيها الحمـأةَ.

باب

قول الله عز وجل:

﴿وَما أمْرُ السَّاعَةِ إلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ﴾ [النحل:٧٧]، وَأنَّ مَنْ مَاتَ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:١٨٦]، أيْ: خَفِيتْ، وإذا خَفِيَ عليكَ الشَّيءُ، فَقَدْ ثَقُلَ.

وقـولُـه سبحـانَـهُ وتعـالـى:﴿يَسْـأَلُـونَـكَ كـأنَّـك حَفِـيٌّ عنهـا﴾ [الأعراف:١٨٦]، عَالِمٌ بِهَا، قَالَ مُجَاهِدٌ: أرَادَ كَأنَّكَ اسْتَحْفَيْتَ عَنْهَا السُّؤالَ حَتَّى عَلِمْتَها، أيْ: أكْثَرْتَ المَسْألَةَ عَنْهَا، يُقَالُ: أحْفَى في

السُّؤالِ، وَألْحَفَ، تَقُولُ العَرَبُ: فُلانٌ حَفِيٌّ بِخَبَرِ فُلانٍ: إذَا كَانَ مَعْنِيّاً بِالسُّؤَالِ عَنْهُ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]، أيْ: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وَدَنَتِ القِيَامَةُ، يُقَالُ: أزِفَ الشَّيْءُ: إذَا دَنَا، وَيُقَالُ لِلْقِيَامَةِ: آزِفَةٌ، لِأنَّهَا لَا مَحَالَةَ آتِيَةٌ، وَمَا كَانَ آتِياً، وَإنْ بَعُدَ وَقْتُهُ، فَهُوَ قَرِيبٌ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، أيْ: يَخْتَصِمُونَ فِي أمْرِ الدُّنْيَا، وَفِي مُتَصَرَّفَاتِهِمْ فِيهَا.

٤١١٤- عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ بِإصْبَعَيْهِ هٰكَذَا بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإبْهَامَ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٢٩٥٠).

وقيل في تفسيره: كفضلِ إحداهما على الأخرى. يريد: ما بيني وبَيْنَ الساعةِ من مستقبل الزمان بالإضافة إلى ما مضى مقدار فضل الوسطى على السَّبابة.

٤١١٥- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَكَانَ إذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ، احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، وَعلاَ صَوتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، كَأنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ: صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٨٦٧)، والنسائي ٣/ ١٨٨ وغيرهما.

واستنبط منه النووي في «شرح مسلم» ٣/ ٤٢٤: أنه يُستحَبُّ للخطيبِ أن يُفَخِّمَ أمْرَ الخطبة ويرفع صوتَه، ويُجْزِل كلامَه، ويكونَ مطابقاً للفصل الذي يتكلَّم فيه من ترغيبٍ أو ترهيب.

٤١١٦- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَعْرَابِ جُفَاةٌ يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَتى السَّاعةُ؟ فكانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ، فَيَقُولُ: «إِنْ يَعِشْ هٰذَا لَا يُدْرِكُهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ».

حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢).

قال الكرماني: هذا الجوابُ من الأسلوب الحكيم، أي: دعوا السؤالَ عن وقت القيامة الكبرى، فإنها لا يعلمها إلا الله، واسألو عن الوقت الذي يقع فيه انقراضُ عصرِكم، فهو أولى لكم، لأن معرفتكم به تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته، لأنَّ أحدكم لا يدري مَن الذي يسبق الآخر.

٤١١٧-عن شريك بن عبد الله بن أبي نمرٍ أنه سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: دَخَلَ رَجُلٌ المَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى المِنْبَرِ يومَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَأَشَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَنِ اسْكُتْ، فَسَأَلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذٰلِكَ يُشِيرُ إِلَيْهِ النَّاسُ أَنِ اسْكُتْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ الثَّالِثَةِ: «وَيْحَكَ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا»؟ قَالَ: حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ غُلَامٌ، قَالَ أَنَسٌ: هُوَ مِنْ سِنِّي قَدِ احْتَلَمَ أَوْ رَاهَقَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ السَّائِلُ عنِ السَّاعَةِ»؟ قَالَ: هَا هُوَ ذَا قَالَ: «إِنْ أَكْمَلَ هٰذَا الغُلَامُ عُمُرَهُ، أَوْ أَدْرَكَ عُمْرَهُ، فَلَنْ يَمُوتَ حَتى يَرَى أَشْرَاطَهَا».

إسناده قوي، وأخرجه أحمد (١٢٧٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٧٣).

بابُ

النفخِ في الصور

قَالَ مُجَاهِدٌ: كَهَيْئَةِ البَرْقِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّاقُورُ: الصُّورُ.

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، أيْ: نُفِخَ فِي الصُّورِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: زَجْرَةٌ: صَيْحَةٌ، الرَّاجِفَةُ: النَّفْخَةُ الأولى، وَالرَّادِفَةُ: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الأجْدَاثِ إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٣٦].

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وَقَوْلِهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، فَقَالَ: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ فِي النَّفْخَةِ الأُوْلَى يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ يُقبِلُ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فإذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، أيْ: الصَّيْحَةُ الَّتِي تَصُخُّ الأسْمَاعَ، أيْ: تُصِمُّهَا تَكُونُ عَنْهَا القِيَامَةُ.

٤١١٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الأُذُنُ مَتى يُؤمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذٰلِكَ ثَقُلَ عَلى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلى اللهِ تَوَكَّلْنَا».

هذا حديث حسن. وانظر ما بعده.

٤١١٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَا يُؤْمَرُ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد ٣/٧، والترمذي (٢٤٣٣)، و(٣٢٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري وصححه ابن حبان (٨٢٣)، وأخرجه أحمد ١/٣٢٦، والحاكم ٤/٥٥٩ من حديث ابن عباس، وأحمد ٤/٣٧٤ من حديث زيد بن أرقم وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف.

قولُه: «كيف أنعم»، أي: كيف أتنعم، وقيل: كيف أفرح، والنِّعمةُ: المسرَّة.

٤١٢٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: أَرْبَعُونَ يَوْماً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْراً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّماءِ ماءً، فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

قوله: «أبَيْتُ» أي: أنه أبى أن يلتزمَ أحدَ الثلاثة بل الذي جزم به أنَّها أربعون مجملةً، وجاء في غير هذا الرواية أنها أربعون سنة.

العَجْبُ: العَظمُ الذي في أسفلِ الصُلْبِ وهو العَسيب.

ويُخصُّ من هذا الحديث أجساد الأنبياءِ فإنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكلَها.

٤١٢١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ، أَمْ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي، وَمَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

«الصَّعْقُ»: الهلاكُ والموت.

وقوله: «ومن قال: أنا خيرٌ من يونس بن متَّى، فقد كذب» فيه وجهان:

أحدهما: أنه قاله قبل أن يعلمَ أنه أفضلُ من يونس، فلما علم ذل قال: «أنا سَيِّدُ ولد آدم».

والثاني: أنَّه قاله زَجْراً عن أن يتخيَّلَ أحدٌ من الجاهلين شيئاً من حطِّ مرتبة يونس صلواتُ الله عليه وسلامه من أجل ما في القرآن العزيز من قصته.

٤١٢٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، وَرَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّداً عَلى

العَالَمِينَ، قَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلى العَالَمِينَ، قَالَ: فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذٰلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفاقَ قَبْلِي، أَمْ كَانَ فِيمَن اسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٢٤١١) عن يحيى بن قَزْعة عن إبراهيم بن سَعدٍ، وأخرجه مسلم (٢٣٧٣) عن زهير بن حرب، عن يعقوب بن إبراهيم بن سَعد. ورواه عبد الله بن الفضل الهاشميُّ، عن الأعرج، عن أبي هريرة وقال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله»، وقال: «فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطُور أم بُعِث قبلي، ولا أقول: إن أحداً أفضلُ من يونس بن متَّى».

قوله: صَعِقَ الرجل يَصعق: إذا أصابه فزعٌ، فأغمي عليه. وقوله: «باطِشٌ بجانب العرش» أي: قابضٌ عليه بيده.

وقوله: «أم كان ممّن استثنى الله» يريد قوله سبحانه وتعالى: ﴿فصعِقَ من في السماوات ومن في الأرض إلا مَنْ شاء الله﴾ [الزمر: ٦٨] قوله: «أم حُوسِبَ بصعقة الطور» أي: عُوفيَ من الصَّعق مع الناس لما كان من صَعقة الطور، كما أخبر الله تعالى: ﴿وخَرَّ موسى صَعِقاً﴾ [الأعراف: ١٤٣].

بابُ

قولِ الله عز وجل:

﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ الآيَةَ [الزمر: ٦٨].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وَرَوَى مَسْرُوقٌ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا تَلَتْ هٰذِهِ الآيَةَ، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ قَالَ: «عَلى الصِّرَاطِ».

أخرجه مسلم (٢٧٩١).

يُقَالُ: التَّبْدِيلُ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ، وَالإِبْدَالُ: جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ آخَرَ، قَالَ الأَزْهَرِيُّ: تَبْدِيلُ الأَرْضِ: تَسْيِيرُ جِبَالِهَا، وَتَفْجِيرُ أَنْهَارِهَا، وَكَوْنُهَا مُسْتَوِيَةً لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً، وَتَبْدِيلُ السَّمَاوَاتِ: انْتِثَارُ كَوَاكِبِهَا وَانْفِطَارُهَا، وَتَكْوِيرُ شَمْسِهَا، وَخُسُوفُ قَمَرِهَا.

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨]، أَيْ: لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَعْوَجُّوا عَنْ دُعَائِهِ.

وقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، أَيْ: ظَاهِرَةً، وَلَيْسَ فِيهَا مُسْتَظَلٌ، وَلَا مُتَفَيَّأٌ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً﴾ أَيْ: حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً، وَزُلْزِلَتْ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً﴾ [الواقعة: ٤]، أَيْ فُتِّتَتْ، فَصَارَتْ أَرْضاً، وَقِيلَ: نُسِفَتْ كَمَا قَالَ: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ [طه: ١٠٥] وَقِيلَ: سِيقَتْ كما قَالَ: ﴿وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، أَيْ: دُقَّتَا دَقَّاً فَصَارَتا هَبَاءً مُنْبَثّاً، وَالمُنْبَثُّ: المُتَفَرِّقُ، وَالهَبَاءُ المُنْبَثُّ: مَا تُثِيرُ الخَيْلُ بِسَنَابِكِهَا مِنَ الغُبَارِ، وَالهَبَاءُ المَنْثُورُ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الكَوَّةِ مَعَ ضَوْءِ الشَّمْسِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾ [الفجر: ٢١]، أَيْ: جُعِلَتْ

مُسْتَوِيَةً لَا أَكَمَةَ فِيهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿جَعَلَهُ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: ٩٩]، أيْ: مُسْتَوِياً، يُقَالُ: نَاقَةٌ دَكَّاءُ: إذَا ذَهَبَ سَنَامُهَا، وَقَالَ القُتَيْبِيُّ: أيْ: جَعَلَهُ مَدْكُوكاً مُلْصَقاً بِالأَرْضِ، وَمَنْ قَرَأَ دَكَّاءَ أيْ: جَعَلَ الجَبَلَ أَرْضاً دَكَّاءَ، وَهِيَ الرَّابِيَةُ الَّتِي لَا تَبْلُغُ أنْ تَكُونَ جَبَلاً، وَجَمْعُهَا دَكَّاوَاتٌ، وَأَصْلُ الدَّكِّ: الكَسْرُ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ويَسْأَلونَكَ عن الجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نسفاً﴾ [طه: ١٠٥]، أيْ: يَقْلَعُهَا مِنْ أَصْلِهَا، وَقِيلَ: نَسْفُ الجِبَالِ: دَكُّهَا وَتَذْرِيَتُهَا.

وقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٧]، أيْ: صَارَتْ كَلَوْنِ الوَرْدِ، تَتَلَوَّنُ أَلْوَاناً يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، فَالدِّهَانُ جَمْعُ دُهْنٍ، أيْ: كَمَا تَتَلَوَّنُ الدِّهَانُ المُخْتَلِفَةُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، أيْ: كَالزَّيتِ المَغْلِي، وَقِيلَ: الدِّهَانُ: الأَدِيمُ الأَحْمرُ. وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَومَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦] أيْ: ضَعِيفَةٌ جِدّاً، يُقَالُ لِلسِّقَاءِ إذَا تَفَتَّقَ خَرْزُهُ: لَقَدْ وَهَى يَهِي.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالمَلَكُ عَلى أَرْجَائِهَا﴾[الحاقة: ١٧] أيْ: نَوَاحِيهَا، الوَاحِدُ رَجَا مَقْصُورٌ، وَالمَلَكُ بِمَعْنَى المَلَائِكَةِ هَاهُنَا.

٤١٢٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ».

هذا حديثٌ متَّفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

٤١٢٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلى أُصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلى أُصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلى أُصْبَعٍ، وَالمَاء وَالثَرَى عَلى أُصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلى أُصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ [الأنعام: ٩١].

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٨١١)، وأخرجه مسلم (٢٧٢٦) عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن فُضَيل بن عِياضٍ، عن منصور، وقال: «والجبال والشجر على إصبع» وقال: «ثمَّ يهزهنَّ فيقول: أنا الملك أنا الله».

قال محمد بن إسماعيل: ويُذكر عن جابر بن عبد الله بن أنيسٍ سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشرُ اللهُ العبادَ، فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُدَ، كما يسمعه مَن قَرُبَ: أنا الملك أنا الدَّيان» علَّقه البخاري في «صحيحه» في كتاب التوحيد بإثر الحديث (٧٤٨٠) بصيغة التمريض، وانظر لزاماً «فتح الباري» ١٣/٤٥٣ وما بعدها.

٤١٢٥- عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

قوله: «كقُرصة النَّقي» يعني الحوَّارَى، نُقِّي من القشر والنخالة.

وقوله: «ليس فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ» المَعْلَمُ: ما جُعل علامةً وعَلماً للطُرق والحدود: يريد أنَّ تلك الأرض مستويةٌ ليس فيها حَدَبٌ يردُّ البصر، ولا بناءٌ يَستر ما وراءه، وقال أبو عُبيد: المَعْلَمُ: الأثر.

٤١٢٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ» فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحمٰنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ قَالَ: إِدَامُهُمْ؟ بَالَامُ وَنُونٌ قَالَ: مَا هٰذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفاً.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّتِه، أخرجه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

قوله: «كما يَكْفَأُ أحدُكم خُبْزَتَه في السفر» يريد المَلَّة التي يصنعها السَّفْرُ، فإنها لا تُدْحى كالرُّقاقةِ، وإنما تُقلب على الأيدي حتى تستوي. قوله: «بالام» ذكر الخطابي «أعلام الحديث» ٣/٢٢٦٦ قال: لعله هجاءٌ وهي ي ل وكان المخبر يهودياً، فقلَبه وهو في الحقيقة لام يا هجاء لأى بوزن لَعَى وهو الثور الوحشي، أو لعله لغةٌ بالعبراني، فإن العبرانيَّ لغةٌ مُصحَّفةٌ من العربية حتى قيل: إن العِبراني، هو العِرْباني، فقدَّموا الباء وأخروا الراء.

وهذا لفظٌ مشكلٌ والاعتراضُ في مثل هذا على غير ثقةٍ تكلفٌ.

باب

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] السُّورَةَ. وَقَولُهُ: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]، أَيْ: قُلِعَتْ كَمَا يُقلَعُ السَّقْفُ، يُقَالُ: كَشَطْتُ الجُلَّ عَنْ ظَهْرِ الفَرَسِ، وَقَشَطْتُهُ: إِذَا كَشَفْتَهُ، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ﴾ أَيْ: حَارَ لِلْفَزَعِ، وَالبَرَقُ: الدَّهَشُ وَالحَيرَةُ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لِكُلِّ دَاخِلٍ بَرْقَةٌ، أَيْ: دَهْشَةٌ، وَمَنْ فَتَحَ الرَّاء، فَهُوَ مِنْ بَرِيقِ العَيْنِ وَهُوَ تَلأْلُؤُهُ.

٤١٢٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

قوله: «مُكوَّران» من قوله سبحانه وتعالى: ﴿إذا الشمس كوِّرت﴾ أي: جُمِعَتْ، ولُفَّت، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُكوِّر الليل على النهار﴾ [الزمر: ٥] أي: يُدخل هذا على هذا، وتكوير العمامة: لفُّها.

بابُ

قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩] وَالحَسْرَةُ: شِدَّةُ النَّدَمِ حَتَّى يَحْسِرَ النَّادِمُ كَمَا يَحْسِرُ الَّذِي تَقَومُ بِهِ دَابَّتُهُ فِي السَّفَرِ البَعِيدِ، يُقَالُ: حَسَرَتِ النَّاقَةُ، أَيْ: انْقَطَعَ سَيْرُهَا كَلَالًا. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣] أَيْ: تَرْفَعُ قَوْماً إِلَى الجَنَّةِ، وَتَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى النَّارِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَاً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ [الدهر: ١٠]، أَيْ: مُنْقَبِضاً لَا فُسْحَةَ فِيهِ وَلَا انْبِسَاطَ، يُقَالُ: اقْمَطَرَّ: إذا تَقَبَّضَ.

٤١٢٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هٰذِهِ الآيَةَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا»؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قال: فَهٰذِهِ أَخْبَارُهَا».

إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٨٨٦٧)، والترمذي (٢٤٢٩)، وفيه يحيى ابن أبي سليمان وهو المدني لين الحديث وباقي رجاله ثقات، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم ٢/ ٥٣٢، وتعقبه الذهبي بقوله: يحيى هذا منكر الحديث قاله البخاري. وله شاهد بمعناه أخرجه الطبراني من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد، عن ربيعة الجرشي أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به» وربيعة الجرشي: هو ابن عمرو، ويقال: ابن الحارث الدمشقي، مختلف في صحبته، قتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين وكان فقيهاً، وثقه الدارقطني وغيره.

٤١٢٩- عن يحيى بن عُبيد الله قال: سمعتُ أبي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ» قَالُوا: فَمَا نَدَمُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ مُحْسِناً، نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ ازْدَادَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً، نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ نَزَعَ».

إسناده ضعيف جداً، أخرجه الترمذي (٢٤٠٣) ويحيى بن عبيد الله متروك.

٤١٣٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ لَهُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لَا أَعْصِيكَ،

فَيَقُولُ إبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إنَّكَ وَعَدْتَنِي أنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، وَأيُّ خِزْيٍ أخْزَى مِنْ أبِي الأبْعَدِ، فَيَقُولُ اللهُ: إنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ لإبْرَاهِيمَ: مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ، فَيَنْظُرُ، فَإذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلَطَّخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٣٥٠)، والذِّيخ: الضَّبعُ الذكر.

وفيه: دليلٌ على أن الأنساب لا تنفع، وأنَّ المعتبرَ هو تقوى الله وطاعتُه.

باب

كيف الحشر

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ وَالحَسَنُ: إنَّ كُلَّ ذٰلِكَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ يَعْنِي البَدْأةَ وَالإعَادَةَ، وَحُكِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أنَّهُ قَالَ: مَعْنَاهُ: هُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ فِي العِبْرَةِ عِنْدَكُمْ لَيْسَ أنَّ شَيْئاً يَعْظُمُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أنْشَأهَا أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، أرَادَ القَبْرَ، وَكُلُّ حَاجِزٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ بَرْزَخٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: البَرْزَخُ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤] أيْ: قُلِبَتْ، فَأُخْرِجَ مَا فِيهَا، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] قَالَ عُمَرُ ﴿وَإذَا النُّفُوسُ

زُوِّجَتْ﴾: يُزَوَّجُ نَظِيرُهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾. وَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩]، قِيلَ: مَعْنَاهُ يُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عَلى آخِرِهِمْ، وَالوَزْع: الكَفُّ وَالمَنْعُ، وَقَالَ: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ﴾ أَيْ: إِلَى أَوَّلِ الأَمْرِ فِي الحَيَاةِ كَانُوا يُنْكِرُونَ البَعْثَ، يُقَالُ: عَادَ فُلَانٌ إِلَى حَافِرَتِهِ، أَيْ: رَجَعَ إِلَى الحَالَةِ الأُولَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾ [طه: ١٠٢] قِيلَ: عُمْياً، وَقِيلَ: عِطَاشاً، وَقِيلَ لِلْعِطَاشِ: زُرْقٌ، لِأَنَّ أَعْيُنَهُمْ تَزْرَقُّ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ، وَيُقَالُ لِلْمِيَاهِ الصَّافِيَةِ: زُرْقٌ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس:٥١]، أَيْ: مِنَ القُبُورِ، وَالجَدَثُ وَالجَدَفُ: القَبْرُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] أَيْ: أَكَمَةٍ، وَالحَدَبُ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ. يَنْسِلُونَ، أَيْ: يُسْرِعُونَ كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] أَيْ: كَأَنَّهُمْ نُصِبَ لَهُمْ شَيْءٌ، فَهُمْ يُسْرِعُونَ إِلَيْهِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ﴾ [القمر: ٧، ٨]، أَيْ: مُسْرِعِينَ وَيُقَالُ المُهْطِعُ: الَّذِي يَنْظُرُ فِي ذُلٍّ وَخُشُوعٍ لَا يُقْلِعُ بَصَرُهُ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم:٤٣]، أَيْ: مُسْرِعِينَ رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ يَنْظُرُونَ فِي ذُلٍّ، وَالإِقْنَاعُ: رَفْعُ الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْتَفِتَ يَمِيناً أَوْ شِمَالاً.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣]، أَيْ: لَا

تَعِي شَيْئاً، وَلَا تَعْقِلُ مِنَ الخَوْفِ، وَالهَوَاءُ: الَّذِي لَا يَثْبُتُ فِيهِ شَيْءٌ، فَهُوَ خَالٍ، وَقِيلَ: هٰذَا مُبَيَّنٌ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ﴾ [المؤمن:١٨]، فَأَعْلَمَ أَنَّ القُلُوبَ قَدْ فَارَقَتِ الأَفْئِدَةَ، وَالأَفْئِدَةُ هَوَاءٌ لَا شَيْءَ فِيهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ﴾ [ق:٤٢]، يَعْنِي يَوْمَ الخُرُوجِ مِنَ القُبُورِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ [طه:١٠٨]، أَيْ: صَوْتاً خَفِيّاً مِنْ وَطْءِ أَقْدَامِهِمْ إِلَى المَحْشَرِ.

٤١٣١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٥٥)، والنسائي ٤/١١١ وقد سبق تفسيره.

٤١٣٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرْلاً، ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُذْ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٧-١١٨].

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

والغُرْلُ: جمع أغرَلَ وهو الأغلفُ يعني الذي لم يُخْتَنْ. وقوله: «لم يزالوا مرتدِّين»: لم يُرِد به الرِّدةَ عن الإسلام، إنما معناه التخلُّفَ عن بعض الحقوق الواجبة، والتأخر عنها، ولذلك قيَّد بقوله: على أعقابهم، ولم يرتدَّ أحدٌ بحَمْدِ الله من أصحاب النبي ﷺ إنما ارتدَّ قومٌ من جُفاةِ العرب. وقوله أصَيْحابي: إنما صَغَّرَ ليدُل على قلة عددهم.

٤١٣٣- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «عُراةً حُفَاةً» قَالَتْ: قُلْتُ: وَالنِّسَاءُ؟ قَالَ: «وَالنِّسَاءُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَسْتَحْيِي؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَهُمَّهُمْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

٤١٣٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

قيل: قوله: «يُحشر الناسُ على ثلاثِ طرائقَ» هذا الحشر قبل قيام الساعةِ إنما يكونُ إلى الشام أحياءً، فأما الحشرُ بعدَ البعث من القبور على خلاف هذه الصفة مِن ركوب الإبل والمعاقبة عليها، إنما هو كما أخبر أنهم يُبعثون حُفاةً

عراةً. وقيل: هذا في البعث دونَ الحشر. وقوله: «على بعيرٍ» يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم الباقون عُقَباً.

ويُروى عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتُجرُّون على وجوهكم» أخرجه أحمد ٣/٥، والترمذي (٢٤٢٦) بسندٍ حسن.

٤١٣٥- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلى رِجْلَيْهِ قَادِرٌ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلى وَجْهِهِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

قال مجاهدٌ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أفمن يتَّقي بوجهه سوءَ العذابِ﴾ [الزمر: ٢٤] يُجرُّ على وجهه، قيل: الكافرُ مغلولُ اليدِ، ومن شأنِ الإنسان أن يتَّقيَ بيده، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنَّ الكافر يتَّقي بوجهه.

بابُ

قول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: يَقُومُونَ مِئَةَ سَنَةٍ، وَيُرْوَى عَنْ كَعْبٍ: يَقُومُونَ ثَلَاثَ مِئةِ سَنَةٍ، وَقِيلَ: سُمِّيَتِ القِيَامَةُ قِيَامَةً، لِأَنَّ الخَلْقَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً. وَقَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ [إبراهيم: ١٤] أَيْ: خَافَ المَقَامَ الَّذِي وَعَدْتُهُ لِلثَّوَابِ وَالعِقَابِ.

٤١٣٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ

المُبَارَكِ وَأخْبَرَنِيهِ صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحَّته، أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

و«الرَّشْحُ» العَرَقُ. وسببُ كثرةِ العَرَقِ تراكمُ الأهوال، ودُنوُّ الشمس من رؤوسهم والزِّحام الشديد.

٤١٣٧-عن سُليم بن عامرٍ، حَدَّثَنِي المِقْدَادُ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قِيْدَ مِيلٍ أوِ اثْنَيْنِ» قَالَ سُلَيْمٌ: لَا أدْرِي أيَّ المِيلَيْنِ يَعْنِي مَسَافَةَ الأرْضِ، أوْ المِيْلَ الَّذِي يُكْحَلُ بِهِ العَيْنُ، قَالَ: «فَتَصْهَرَهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي العَرَقِ كَقَدْرِ أعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلَى عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إلْجَاماً» قَالَ: فَرَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُشِيْرُ بِيَدِهِ إلَى فِيهِ يَقُولُ: «يُلْجِمُهُ إلْجَاماً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٦٤)، وأحمد (٢٣٨١٣)، والترمذي (٢٤٢٣).

قوله: «قِيدَ ميلٍ» هو بكسر القاف، أي: قَدْرُ ميل. والمرادُ بالميل هنا مسافةُ الأرض، لأنها إذا كانت بينها وبين الرؤوس مقدارُ مِيلِ المكحلة فهي متصلةٌ بالرأس لقلَّة المسافة.

٤١٣٨- عَنْ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمٌ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ فَمَا أطْوَلَ هٰذَا اليَوْمَ؟!، فَقَالَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلى المُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيها فِي الدُّنْيَا».

أخرجه أحمد (١١٧١٧) بسندٍ ضعيف.

بابُ

الحِسابِ والقصاص

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣] يَعْنِي: يَوْمَ الحِسَابِ، وَقِيلَ: يَوْمَ الجَزَاءِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، أي: الجَزَاءَ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أيْ: الجَزَاءُ، وَقِيلَ: الدِّينُ: الحُكْمُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ [النور: ٢]، أيْ: فِي حُكْمِهِ، وَقِيلَ: الدِّينُ، الطَّاعَةُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ [النحل: ٥٢]، أيْ: الطَّاعَةُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وَقَولُهُ سُبحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، أيْ: التَّوْحِيدُ، وَالدِّينُ: اسْمٌ لِجَمِيعِ مَا تَعَبَّدَ اللهُ بِهِ خَلْقَهُ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٥١] أيْ: حِسَابُه وَاقِعٌ لَا مَحَالَة، وَكُلُّ مَا هُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، فَهُوَ سَرِيعٌ، وَقِيلَ: سُرْعَةُ حِسَابِهِ أَنَّهُ لَا يَشْغَلُهُ حِسَابُ وَاحِدٍ عَنْ حِسَابِ الآخَرِ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، فَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿سُوءَ الحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]، قِيلَ: هُوَ أَنْ لا تُقْبَلَ لَهُمْ حَسَنَةٌ، وَلَا تُغْفَرَ لَهُمْ سَيِّئَةٌ.

وَقَولُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢]، أيْ: نَقْصاً، يَقُولُ: لَا يَخَافُ أنْ يُظْلَمَ بِأنْ يُحَمَّلَ ذَنْبَ غَيْرِهِ، وَلَا يُهْتَضَمَ، فَيُنْقَصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، يُقَالُ: هٰذَا دَاءٌ يَهْضِمُ الطَّعَامَ، أيْ: يَنْقُصُ ثِقْلَهُ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ [الانشقاق: ٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾، أيْ: مُحَاسِباً [الإسراء: ١٤].

٤١٣٩- عن ابن عمر، حدثني ابن أبي مُلَيكةَ: أنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئاً لَا تَعْرِفُهُ إلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، فَإنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ، عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾؟ قَالَتْ: فَقَالَ: «إنَّما ذٰلِكَ العَرْضُ، وَلٰكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ، يَهْلِكْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

قوله: «مَنْ نوقِشَ الحسابَ يَهلِك» فالمناقشةُ: الاستقصاءُ في الحساب حتى لا يُترَك منه شيءٌ، يقال: انتقشتُ منه جميع حقّي، ومنه نقشُ الشوكةِ من الرِّجلِ وهو استخراجها منه.

٤١٤٠- عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: كُنْتُ آخِذاً بِيَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُدْنِي المُؤْمِنَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أيْ عَبْدِي تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أيْ

رَبِّ، ثُمَّ يَقُولُ: أيْ عَبْدِي تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حَتَّى إذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأى نَفْسَهُ أنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأمَّا الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأشْهَادُ: هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ ألَا لَعْنَةُ اللهِ عَلى الظَّالِمِينَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

قيل: الأشهاد: هم الملائكة، وقيل: هم الأنبياء والمؤمنون يشهدون على المكذبين.

٤١٤١- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَومَ القِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: أتُنْكِرُ مِنْ هٰذَا شَيْئاً؟ أظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أفَلَكَ عُذْرٌ أوْ حَسَنَةٌ؟ فَبُهِتَ الرَّجُلُ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أشْهَدُ أنْ لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هٰذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هٰذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَقَالَ: إنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ».

إسناده قوي، وصححه ابن حبان (٢٥٥)، والحاكم ١/٥٢٩، ووافقه الذهبي، وهو في «المسند» (٦٩٩٤) وانظر تمام تخريجه فيه.

البطاقةُ: الورقةُ، طاشت، أي: خفت، والطيش: خِفَّةُ العقل.

وروي عن أبي هريرة قال: «إنَّ من الناس من يُقتَلُ يومَ القيامة ألف قتلةٍ بضروب ما قَتَلَ».

بابُ

من يدخل الجنة بغير حساب

٤١٤٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هٰذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي قَوْمِهِ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هٰكَذَا وهٰكذَا، فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هٰؤلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هٰؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ، فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلٰكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلٰكِنْ هٰؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ: فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

وقد دلَّ الحديثُ على عظيم ما أكرم الله تعالى به النبيَّ ﷺ وأمَّته.

وقوله: «ولا يسترقون» أي: لا يطلبون الرقية، فقد ثبت الاسترقاءُ من بعضِ الصحابة. وأما التوكلُ فحدُّه: الثقةُ بالله تعالى، والإيقانُ بأنَّ قضاءَه نافذ، واتباع سنَّة نبيِّه ﷺ في السَّعْي فيما لا بُدَّ منه من المطعم والمَشْرَبِ والتحرُّزِ من العدو كما فعله الأنبياءُ صلوات الله عليهم أجمعين.

٤١٤٣- عن سعيد بن المسيِّب أنَّ أبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «يُدْخَلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ الجَنَّةَ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفَاً تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ يرفعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

«النَّمِرَةُ»: كساءٌ فيه خطوطٌ بيضٌ وسودٌ وحَمْرٌ كأنها أُخِذَتْ مِن جلد النَّمِر لاشتراكهما في التلوَّن وهي من مآزرِ العرب.

بابُ

مفاداةِ المسلم باليهود والنصارى

٤١٤٤- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، لَمْ يَبْقَ مُسْلِمٌ إِلَّا أُعْطِيَ يَهُودِيّاً، فَقِيلَ: هٰذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٦٧) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة، عن طلحة بن يحيى، عن أبي بُرْدَةَ، وقال: «دَفَع اللهُ إلى كل

مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكُك من النار» وهذا الحديثُ أرجى حديثٍ للمسلمين لما فيه من التصريح بفداءِ كلِّ مسلم، وتعميم الفِداء.

بابُ

قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج:٢]، المُرْضِعَةُ: الَّتِي تُرْضِعُ وَلَدَهَا، إِذَا أَرَدْتَ الفِعْلَ، أَلْحَقْتَ بِهَا هَاءَ التَّأْنِيثِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنَّهَا ذَاتُ رَضِيعٍ، أَسْقَطَتَ الهَاءَ، فَقُلْتَ: امْرَأَةٌ مُرْضِعٌ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمَ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ، وَقَالَ: وَهِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي القِيَامَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يُكْشَفُ عَنِ الأَمْرِ الشَّدِيدِ، وَالعَرَبُ تَذْكُرُ السَّاقَ إِذَا أَخْبَرَتْ عَنْ شِدَّةِ الأَمْرِ وَهَوْلِهِ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة:٢٩]، قِيلَ: آخِرُ شِدَّةِ الدُّنْيَا بِأَوَّلِ شِدَّةِ الآخِرَةِ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ [الدهر: ٧]، أَيْ: مُمْتَدَّ البَلاَءِ ﴿يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ [الدهر: ١٠] القَمْطَرِيرُ: أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ الأَيَّامِ فِي البَلاَءِ.

٤١٤٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ يَا آدَمُ قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ

المَوْلُودُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ» قَالَ: فَيَقُولُونَ: وَأَيُّنَا ذٰلِكَ الوَاحِدُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تِسْعُ مِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ» قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قَالَ: فَكَبَّرَ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ وَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَبْيَضِ».

أخرجه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ، فَيَقُولُونَ: لَا مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، قَالَ: فَيُقَالُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ: فَذٰلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] الوَسَطُ: العَدْلُ.

وهذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٣٤٩).

قوله: «تضع كلُّ ذات حَمْلٍ حَمْلَها»: هو على المجاز لأنه ليس في القيامة حَمْلٌ ولا ولادة، وتقديره: ينتهي به الأهوالُ والشدائدُ إلى أنه لو تُصوِّرت الحوامل هناك لوضَعن أحمالهن.

٤١٤٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى

مَنْ كَانَ يَسجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً وَاحِداً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٤٩١٩)، لكن قوله: «عن ساقه» هي من روايـة سعيد بن أبي هلال، قال الإمام أحمد فيه: ما أدري أي شيء تخلط في الأحاديث. وأخرجها الإسماعيلي كذلك، ثم قال في قوله: «عن ساقه» نكرة، ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ «يكشف عن ساق» وهي في صحيح مسلم (١٨٣) قال الإسماعيلي: هـذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة لئلا يظـن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين تعالـى الله عن ذلك ليس كمثله شيء، وقال النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: فسر ابن عباس، وجمهور أهل اللغة، وغريب الحديث الساق هنا بالشدة، أي: يكشف عن شدة وأمر مهول، وانظر «الأسماء والصفات» صفحة ٣٤٤، ٣٤٨، وتفسير ابن كثير ٨/ ٤٥٠، ٤٥٢.

قوله: «يَكشِفُ ربُّنا عن ساقه» قال الخطابيُّ: هذا مما تهيَّب القولَ فيه شيوخُنا، وأجرَوْهُ على ظاهرِ لفظهِ، ولم يكشِفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف في تفسير كل ما لا يحيط العِلم بكنهه من هذا الباب، وقد تأوله بعضهم على معنى قوله تعالى: ﴿يوم يُكشف عن ساق﴾، فروي عن ابن عباس أنه قال: عن شدّةٍ وكرْبٍ، أخرجه الطبري ٢٩/ ٢٤ عنه بسند حسن، وأخرجه الفراء في «معاني القرآن» ٣/ ١٧٧ بإسناد على شرط الشيخين. أن ابن عباس قرأ (يوم تكشف عن ساق) يريدُ القيامة والساعة لشدتها قال: وأنشدني بعض العرب لجد طرفة:

كَشَفْـت لهـم عـن سَـاقهـا وبَـدَا مِـنَ الشَّـرِّ البَـراحُ

وانظر «الأسماء والصفات» ص٣٤٦ للبيهقي.

٤١٤٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وَقَالَ: «اقْرَؤوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لهم يَومَ القِيَامَةِ وَزْناً﴾ [الكهف: ١٠٦]».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

قوله: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ قال ابنُ الأعرابي: تقول العرب: ما لفلانٍ عندنا وزنٌ، أي: قدرٌ لِخسَّته، وقيل: معناه: لا يَزِنُ لهم سعيُهم عندَ الله عز وجلَّ مع كفرهم شيئاً.

٤١٤٨- عن الحسن قال: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ قَيْسٍ يعني أبا موسى الأشعري: يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ، فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا العَرْضَةُ الثَّالِثَةُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطَايَرُ الصُّحُفُ فِي الأَيْدِي، فَإِمَّا آخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَإِمَّا آخِذٌ بِشِمَالِهِ.

إسناده ضعيف لانقطاعه فإن الحسن لم يسمع من أبي موسى، والحديث أخرجه أحمد (١٩٧١٥)، وابن ماجه (٤٢٧٧)، والترمذي (٢٤٢٧).

بابُ

شهادة الأعضاء

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٦٥]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]، سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾ وَقَوْلِهِ

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فَقَالَ: إِنَّهُ ذُو أَلْوَانٍ مَرَّةً يَنْطِقُونَ، وَمَرَّةً يُخْتَمُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، أَيْ: لَا يُسْأَلُ سُؤَالَ الاسْتعْلَامِ، وَلٰكِنْ يَسْأَلُهُمْ تَقْرِيراً وَإِلْزَاماً لِلْحُجَّةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤]، أَيْ: عَلى نَفْسِهِ جَوَارِحُ بَصِيرَةٌ بِمَا جَنَى عَلَيْهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ الآيَةُ [النور: ٢٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ أَيْ: وَلَوْ أَدْلَى بِكُلِّ حُجَّةٍ، وَقِيلَ: وَلَوِ اعْتَذَرَ بِكُلِّ عُذْرٍ، وَقِيلَ: وَلَو أَلْقَى سُتُورَهُ، وَالمِعْذَارُ: السِّتْرُ، وَلَيْسَ هٰذَا مِنْ بَصَرِ العَيْنِ، بَلْ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ بَصِيرٌ بِالعِلْمِ، وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، أَيْ: عِلْمُكَ بِمَا أَنْتَ فِيهِ نَافِذٌ.

وَقَالَ الحَسَنُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤]، قَالَ: لِكُلِّ آدَمِيٍّ في عُنُقِهِ قِلَادَةٌ يُكْتَبُ فِيهَا نُسْخَةُ عَمَلِهِ، فَإِذَا مَاتَ، طُوِيَتْ وَقُلِّدَهَا، وَإِذَا بُعِثَ، نُشِرَتْ لَهُ، وَقِيلَ لَهُ: اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً، ابْنَ آدَمَ أَنْصَفَكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، أيْ: لَا صَدَاقَةٌ، وَهِيَ المُخَالَّةُ وَالخِلَالُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور: ٤٣]، هِيَ جَمْعُ خَلَلٍ مِثْلُ جَبَلٍ وَجِبَالٍ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، قَالَ الزَّجَّاجُ: أيْ: أسْرَعُوا فيما يُخِلُّ بِكُمْ، وَقِيلَ: لأوْضَعُوا مَرَاكِبَكُمْ خِلَالَكُمْ، أيْ: وَسْطَكُمْ.

٤١٤٩- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَألَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابٍ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابٍ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ كَمَا لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى العَبْدَ فَيَقُولُ: أيْ فُلُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ؟ أَلَمْ أُسَوِّدْكَ؟ أَلَمْ أُزَوِّجْكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإبِلَ وَأَتْرُكْكَ تَتَرَأَّسُ وَتَتَرَبَّعُ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: فَاليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. قَالَ: فَيَلْقَى الثَّانِيَ، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإبِلَ، وَأَتْرُكْكَ تَتَرَأَّسُ وَتَتَرَبَّعُ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا، قَالَ: فَاليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. قَالَ: ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ: مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُكَ آمَنْتُ بِكَ وَبِنَبِيِّكَ وَبِكِتَابِكَ وَصُمْتُ وَصَلَّيْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا

اسْتَطَاعَ، فَيُقَالُ لَهُ: أفَلاَ نَبْعَثُ عَلَيْكَ شَاهِدَنَا؟ قَالَ: فَيُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ مَنِ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِ، فَيُخْتَمُ عَلى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، قَالَ: وَذٰلِكَ المُنَافِقُ، وَذٰلِكَ لِيَعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذٰلِكَ الَّذِي سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ ألاَ اتَّبَعَتْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالَ: فَتَتَّبِعُ أَوْلِيَاءُ الشَّيَاطِينِ الشَّيَاطِينَ، قَالَ: وَاتَّبَعَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، قَالَ: ثُمَّ نَبْقَى أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، ثُمَّ نَبْقَى أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، ثُمَّ نَبْقَى أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، فَيَأْتِينَا رَبُّنَا وَهُوَ رَبُّنَا، فَيَقُولُ: عَلاَمَ هٰؤُلاَءِ قِيَامٌ؟ فَنَقُولُ: نَحْنُ عِبَادُ اللهِ المُؤْمِنُونَ وَعَبَدْنَاهُ وَهُوَ رَبُّنَا وَهُوَ آتِينَا وَيُثِيبُنَا وَهٰذَا مَقَامُنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَامْضُوا، قَالَ: فَيُوضَعُ الجِسْرُ وَعَلَيْهِ كَلاَلِيبُ مِنَ النَّارِ تَخْطَفُ النَّاسَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ لِي، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قَالَ: فَإِذَا جَاوَزُوا الجِسْرَ، فَكُلُّ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجاً مِنَ المَالِ مِمَّا يَمْلِكُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَكُلُّ خَزَنَةِ الجَنَّةِ تَدْعُوهُ: يَا عَبْدَ اللهِ يَا مُسْلِمُ هٰذَا خَيْرٌ، فَتَعَالَ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ذٰلِكَ لَعَبْدٌ لاَتَوَى عَلَيْهِ يَدَعُ بَاباً وَيَلِجُ مِنْ آخَرَ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلى مَنْكِبَيْهِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه بتمامه ابن حبان (٤٦٤٢)، وأخرجه مسلم (٢٩٦٨). إلى قوله: «وذلك الذي سخط الله عليه»، وانظر «مسند أحمد» (٧٧١٧).

قوله: «تترَأس وتترَبَّع»، ويروى: «ترْأس وترْبَع» ترْأس، أي: تكون رئيسهم، وترْبع، أي: تأخذ المِرْباعَ من أموالهم وهو الربع من رأس ما غنموه، إذا غزا بعضهم بعضاً، كان الرئيس في الجاهلية يأخذه خالصةً دون

أصحابه، ويروى: «ترْبع وتدْسع»، أي: تعطي فتجزل، والعرب تقول للجواد: هو ضخم الدسيعة وهي الجفنةُ، وقيل: هي المائدة الكريمة.

قوله: «لا تَوى» يعني: لا هلاكَ.

٤١٥٠- عن النعمان بن سعد قال: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ شَعْبَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «شِعَارُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى الصِّرَاطِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّم».

أخرجه الترمذي (٢٤٣٢).

وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق وهو الواسطي أحد رواته.

٤١٥١- عَنْ بَهْزِ بن حكيم بن معاوية، عن أبيه عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا جِئْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ بِعَدَدِ أَصَابِعِي أَلَّا أَتَّبِعَكَ، وَلَا أَتَّبِعَ دِينَكَ، وَإِنِّي أَتَيْتُ أَمْراً لَا أَعْقِلُ شَيْئاً إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ بِمَا بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَبُّنَا؟ قَالَ: «اجْلِسْ» ثُمَّ قَالَ: «بِالإِسْلَامِ» فَقُلْتُ: مَا آيَةُ الإِسْلَامِ؟ قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتُفَارِقُ الشِّرْكَ، وَأَنَّ كُلَّ مُسلِمٍ عَلى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ عَمَلاً، وَإِنَّ رَبِّي دَاعِيَّ وَسَائِلِي هَلْ بَلَّغْتُ عِبَادَهُ، فَلْيُبَلِّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ، وَإِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدَّمٌ عَلى أَفْوَاهِكُمْ بِالفِدَامِ، فَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ وَكَفُّهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هٰذَا دِينُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَيْنَمَا تُحْسِنْ يَكْفِكَ، وَإِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِكُمْ، وَعَلى أَقْدَامِكُمْ وَرُكْبَاناً».

هذا حديث حسنٌ، أخرجه أحمد (٢٠٠٤٣)، والنسائي ٥/ ٨٢.

والفِدام: مصفاةُ الكُوز والإبريق، معناه: أنهم مُنعوا الكلام بالأفواه حتى تكلَّم أفخاذهم، فشبه ذلك بالفِدام الذي يُجعل على الإبريق. ويروى «كلُّ مسلم عن مسلم محرَّمٌ» يقال: إنه محرَّمٌ عنك، أي: يحرَّم أذاك عليه.

٤١٥٢- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

بابُ
شفاعة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩]، رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ سُئِلَ عَنْهَا قَالَ: «هِيَ الشَّفَاعَةُ».

أخرجه ابن جرير ١٥/ ١٤٥، وفي البخاري (٤٧١٨) من حديث ابن عمر: إن الناس يَصِيرونَ يوم القيامة جُثاً، كلُّ أُمَةٍ تَتْبَعُ نبيَّها، يقولون: يا فلان اشفعْ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يومَ يبعثه الله المقام المحمود.

وقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وقد عقد القاضي عياض فصلاً نفيساً في كتابه «الشفا» ١/١٨٨ ذكر فيه تفضيلَ نبينا محمد ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود، وكذا فعل السيوطي في «الخصائص الكبرى» ٢/٢١٨.

٤١٥٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذٰلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى

إبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أهلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنا؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَات (فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانِ) نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ،

وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذٰلِكَ مِنْ الأبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، وَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

قوله: «يَنْفُذُهم البصر» قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/ ١٩١: المعنى أنه يَنْفُذُهم بَصَرُ الرحمن حتى يأتي عليهم كُلِّهم، قال الكسائيُّ: نفذني بصره: إذا بلغني وجاوزني، قال ابن عون: يقال: أنفذتُ القوم: إذا خرَّقتهم ومشيتَ في وسطهم، فإن جُزتهم حتى تُخلِفهم، قلتَ: نفذَتهم بلا ألف، وقال غَيْرُ أبي عُبيدٍ: تخرقهم أبصارُ الناس لاستواء الصعيد، والله سبحانه وتعالى أحاط بالناس أولًا وآخراً.

قوله: «غضِب اليوم غضباً لم يَغضب قبله مثله» أراد به إظهارَ الغضب في ذلك الوقت، وإلا فالغضبُ والرضا من صفات الله عز وجل لم يزل موصوفاً بهما قبل أن خَلق الخلق، وكذلك جميع صفات الله تعالى.

وقد دلَّ الحديثُ على أن الشفاعةَ تكون أولًا لمن لا حسابَ عليه، ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب، ودخل النار حَسْبَ ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة، ثم فيمن قال: لا إله إلا الله، وليس هذا لسواه ﷺ. أفاده القاضي عياض في «الشفا» ص٢٢٣.

٤١٥٤- عن مَعبد بن هلال العَنزِيِّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أهْلِ البَصْرَةِ، فَذَهَبْنَا إلَى أنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ-البُنانيِّ- إلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ، فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فَأذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لَا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أبَا حَمْزَةَ هٰؤُلَاءِ

إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ جَاؤُوا يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمٰنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى، فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسى، فيقولُ: لَسْتُ لَها، ولٰكِنْ عَلَيكُمْ بمُحَمَّدٍ، فَيأتوني، فأقول: أنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ مِنَ النَّارِ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَل». فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ، قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا

عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيْهِ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَى هٰذَا المَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيْهِ، فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هٰذَا، فَقَالَ: حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَلَا نَدْرِي أَنَسِيَ، أَوْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا، فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ، ثُمَّ قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

قوله: «ماجَ الناسُ» أي: اختلط بعضهم ببعض، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وتركنا بَعْضَهم يومئذ يموج في بعضٍ﴾ [الكهف: ١٠٠]. أي: يختلِطُ بعضهم ببعض مُقبلين ومدبرين حيارى.

وقوله: لو مررنا بالحسن: هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد.

قوله: «وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة» يعني مختفياً خوفاً من الحجاج، وأبو خليفة هو حجَّاج بن عتَّاب العبدي.

قوله: «وهو جميعٌ» يعني مجتمع القوَّةِ والحفظ.

وقوله: «فضحك وقال: خُلق الإنسانُ عجولًا» فيه: جوازُ ضحكِ العالم بحضرة أصحابه إذا كان بينه وبينهم أُنْسٌ ولم يُخْرِجْه ذلك إلى إسقاطِ الهيبة، وفيه: جواز الاستشهادِ بالقرآنِ.

وقد تكلَّم القاضي عياض في «الشفا» ٢/١٠٥ عن عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر، وأنَّ منصبَ النبوة يجلُّ عن مواقعتها وعن مخالفة الله تعالى عمداً، ونقل عن جماعة أهل التحقيق والنظر، أنَّ ما ذُكِر عنهم في هٰذا الحديث وأشباهه إنما هو فيما كان منهم على تأويلٍ أو سَهْوٍ أو من إذنٍ من الله تعالى في أشياءَ أشفقوا من المؤاخذة بها وأشياء منهم قَبْلَ النبوة، ولأنه لو صحَّ وقوعُ الذنوب منهم لم يلزمنا الاقتداء بهم وإقرارهم وكثيرٌ من أقوالهم، ولا خلاف في الاقتداء بذلك، وإنما اختلافُ العلماء: هل ذلك على الوجوب أوْ على الندب أو الإباحةِ أو التفريقِ فيما كان من بابِ القُرَبِ أو غيرِها؟

٤١٥٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجْمَعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ، فَيَهْتَمُّونَ لِذٰلِكَ اليَوْمِ، وَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يُخْرِجَنَا مِنْ مَكَانِنَا هٰذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هٰذَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكرُ لَهُمْ خَطِيئَتَه الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكِنْ ائْتُوا نُوحاً أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْداً آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيماً، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللهِ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلٰكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً عَبْداً غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«فَيَأتُونِي، فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ فَأَسْتَأْذِنُ عَلى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبّي، وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أرْجِعُ الثَّانِيَةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلى رَبّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي، وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً، فَيَدَعُني مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً ثَانِياً فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّة، ثُمَّ أرْجِعُ الثَّالِثَةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإذا رَأَيْتُ رَبِّي، وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً، فَيَدَعُني مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً ثَالِثاً، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّة حَتَّى أرْجع، فأقولُ: يَا ربّ مَا بَقِيَ في النّارِ إلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ، أوْ حَبَسَهُ القرآنُ» وَهُوَ المَقامُ المحمود الذي وَعَدَهُ الله عزَّ وَجَلَّ ﴿عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩].

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٤٧٦) و (٧٤٣٩). وقال في آدم: لستُ هناك ويذكر ذنْبه، فيستحيي، وفي نوح: فيستحيي، وفي موسى يذكر قتل النفس بغير حقٍّ فيستحيي، ورواه مسلم (١٩٣).

٤١٥٦- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَنِي أنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أرْبَعَ مِئَةِ ألْفٍ» فَقَالَ أبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «وَهٰكَذَا» فَحَنَى بِكَفَّيْهِ وَجَمَعَهُمَا. قَالَ أبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَهٰكَذَا» فَقَالَ عُمَرُ

ابْنُ الخَطَّابِ: دَعْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّنَا الجَنَّةَ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَنْ يُدْخِلَ خَلْقَهُ بِكَفٍّ وَاحِدٍ، فَعَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ».

أخرجه أحمد (١٢٦٩٥) بسندٍ صحيح.

ورُوي عن أبي أمامةَ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «وعَدني ربي أن يُدخِل الجنةَ من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألفٍ سبعون ألفاً وثلاث حَثَياتٍ من حثيات ربي».

أخرجه أحمد (٢٢٣٠٣)، والترمذي (٢٤٣٩) وغيرهما بسندٍ صحيح.

٤١٥٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هٰذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ خَالِصَةً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه البخاري (٩٩).

قوله: «خالصةً» فيه احترازٌ من النفاق، وفي هذا تقييدٌ للنصوصِ المطلقة التي جاءت بدخولِ الجنة بمجرَّد النطق، قال ابن رجب في «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها»: ٢٧: وهذا كلُّه إشارةٌ إلى عمل القلب، وتحقُّقِه بمعنى الشهادتين، فتحقُّقه بقول: لا إله إلّا الله: أن لا يألهَ القلبُ غَيْرَ اللهِ حبّاً ورجاءً وخوفاً وتوكُّلاً واستعانةً وخضوعاً وإنابة. وتحقُّقه بأنَّ محمداً رسولُ الله: ألَّا يعبدَ الله بغير ما شرعه الله تعالى على لسانِ محمد ﷺ.

٤١٥٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآيَةُ [إبراهيم: ٣٦]. وَقَالَ عِيسَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١٢١]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ- وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٠٢).

وفي الحديث من الفقه والفوائد: بيانُ كمالِ شفقته ﷺ على أُمَّته واعتنائه بمصالحهم.

وفيه: استحبابُ رَفْعِ اليدين في الدعاء.

وفيه: البشارة العظيمة لهذه الأمة بما وَعَدها من الفضل والمغفرة.

وفيه: بيانُ عظم منزلة نبينا محمد ﷺ عند ربه تبارك وتعالى. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٢/ ٨٠.

٤١٥٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (١٩٦) (٣٣١).

٤١٦٠- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ

الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحدٍ قَبْلَكَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩٧).

بابُ

الحوضِ وهو الكوثر

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، قَالَ أَبُو بِشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الكَوْثَرُ الخَيْرُ الكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاساً يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ. قَالَ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الجَنَّةِ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. وَقِيلَ: الكَوْثَرُ: هُوَ القُرْآنُ وَالنُّبُوَّةُ.

٤١٦١- قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا، فَلَا يَظْمَأُ أَبَداً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

«الكيزان» جمع كوز. وفي الحديثِ: إثباتُ حوضِ نبينا محمد ﷺ. قال القاضي عياض فيما نقله النووي في «شرح مسلم» ٨/ ٦٧: أحاديثُ الحوضِ صحيحة، والإيمانُ به فَرْضٌ، والتصديقُ به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يُتَأَوَّلُ ولا يُختلفُ فيه. وحديثُه متواتر النقل! رواه خلائقُ من الصحابة. وقد خرَّجه الشيخان، وجمع ذلك كلَّه الإمام الحافظ البيهقي في كتاب «البعث والنشور».

٤١٦٢- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ حَافَتَاهُ الذَّهَبُ، مَجْرَاهُ عَلى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ».

هذا حديثٌ قوي الإسناد، أخرجه الطيالسي (١٩٣٣)، وأحمد (٥٩١٣)، والترمذي (٣٣٥٨)، وتمام تخريجه في «المسند».

٤١٦٣- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا عِنْدَ عُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ لِأَهْلِ اليَمَنِ، إِنِّي لأَضْرِبُهُمْ بِعَصَايَ حَتَّى تَرْفَضَّ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ لَيَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ وَرِقٍ، وَالآخَرُ مِنْ ذَهَبٍ طُولُهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ، أَوْ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ، أَوْ مِنْ مَقَامِي هٰذَا إِلَى عَمَّانَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٣٠١).

عُقْرُ الحوض بالضم: مؤخره، وعَقْرُ الدار بالفتح: أصلها، ومنه قيل: لفلانٍ عَقارٌ، أي: أصل مالٍ.

قوله: «يَغُتُّ فيه ميزابان» أي: يَدْفقانِ الماء فيه دفقاً متتابعاً مأخوذ من غتَّ الشاربُ الماء جرعاً بعد جرعٍ.

قال أبو منصور الأزهريُّ: عَمَّانُ بنصب العين وتشديد الميم وهو بالشام. وهي عاصمةُ الأردن.

وقوله: «ترفضُّ» أي: تسيل عليهم بالماء. وفي هذا كرامةٌ لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب على غيرهم مجازاة لهم على حُسْن صنيعهم في الإسلام ولا سيَّما الأنصار فإنهم من اليمن في الأصل.

٤١٦٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: دَخَلْتُ الجَنَّة، فَإِذَا أَنَا بنَهْرٍ يَجْرِي بَيَاضُهُ بَيَاضُ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَحَافَّتَاهُ خِيَامُ اللؤلؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي، فَإِذَا الثَّرَى مِسْكٌ أذْفَرُ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَا هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطَاكَهُ اللهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٥٨١)، والترمذي (٣٣٥٧) وغيرهما.

٤١٦٥- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ، شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ، لَمْ يَظْمَأْ أبَداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقْوَامٌ أعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ». قَالَ أبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ عَيَّاشٍ، فَقَالَ: هٰكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أشْهَدُ عَلى أبِي سَعِيدٍ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا فَأقُولُ: «إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠).

قوله: «إني فَرَطُكم» يقول: أنا أتقدمكم إلى الحوض، يقال: فرطتُ القوم: إذا تقدَّمتَهم لترتاد لهم الماء، وتُهيىء الدِّلاء والرِّشاء.

وقوله: «سُحْقاً» أي: بُعداً، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فسُحقاً لأصحاب السعير﴾ [الملك: ١١] أي: بُعداً باعدهم الله من رحمته، والسحيق: البعيد، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿في مكان سحيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

٤١٦٦- عن محمد بن زيادٍ سَمِعْتُ أبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأذُودَنَّ رِجَالاً عَنْ حَوْضِي كَمَا تُذَادُ الغَرِيبَةُ مِنَ الإبِلِ عَنِ الحَوْضِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٢٣٦٧)، ومسلم (٢٣٠٢).

وهذا الحِرْمان بسببِ نكوصِ الموّحدين عن الاستقامة على منهاج الشَّرْع، وتقاعسهم في نصرةِ الشريعة واستغراقهم في ملذَّاتهم وشهواتهم، فعوقبوا بالحرمان في تلك الساعة التي يحتاجون فيها إلى المُسْعف والنصير.

باب

آخر من يخرج من النار

٤١٦٧- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَال أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ «فَقَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَاب؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ يجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً، فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هٰؤُلَاءِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ في غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ هٰذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإذَا أتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ التِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذٰلِكَ: يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذٰلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ

فِيهَا، قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ اللهُ: هٰذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذٰلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً، قَالَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَولِهِ: «هٰذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هٰذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ «مِثْلَهُ مَعَهُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

قوله: «فمنهم الموبقُ بعمله»، أي: المحبوس، يقال: أَوْبَقه: إذا حَبَسَه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿أو يُوبقْهُنَّ بما كسبوا﴾ [الشورى: ٣٤] أو يحبِسُ السفُن فلا تجري عقوبة لأهلها، والإيباق: الإهلاك أيضاً، يقال: وَبَقَ يَبِقُ، ووبِقَ يَوْبَقُ: إذا هَلَكَ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجعلنا بينهم مَوْبِقاً﴾ [الكهف: ٥٣] أي: جعلنا بينهم ما يُوبِقُهم، أي: يُهلكهم.

وقوله: «ومنهم المخرَدلُ» قيل: هو المصروع، وقيل: هو المقطَّعُ، أي: تُقطِّعُه كلاليب الصراط حتى تهوي به إلى النار، يقال: خَرْدَلْتُ اللحم بالدال والذال، أي: قطعتُه وفرَّقته.

وقوله: «امْتَحَشُوا» أي: احترقوا، وقيل: المحْشُ تناوُلٌ من اللهب يُحرِّقُ اللحم، ويُبدي العظم.

وقوله: «فينبُتون نبات الحِبَّةِ» الحِبَّةُ بكسر الحاء وتشديد الباء: اسمٌ جامعٌ لحبوب البقول التي تنتثر إذا هاجت، ثم إذا مُطرت من قابلٍ تنبُت، وقال الكسائي: هي حَبُّ الرياحين الواحدةُ حِبَّةٌ، فأما الحنطة ونحوها، فهو الحَبُّ لا غير، والحبةُ من العنب تسمى حَبةً بالفتح، وحَبُّ الحبَّةِ يُسمَّى حُبَةً بضمِّ الحاء وتخفيف الباء.

وقوله «في حمِيل السَّيْل» هو ما حمله السيل فعيلٌ بمعنى مفعولٌ، كما يقال للمقتول: قتيل، قال أبو سعيد الضرير: حميلُ السَّيل: ما جاء به من طين أو غثاءٍ، فإذا اتفق فيه الحبة، واستقرت على شط مجرى السَّيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، وهي أسرع نابتةٍ نباتاً، وإنما أخبرَ بسرعة نباتهم.

وقوله: «قشبني ريحُها» أي: سمَّني وصار ريحها كالسَّمِّ في أنفي، والقشْبُ: خلْطُ السمِّ بالطعامِ، والقِشْبُ: اسمٌ للسَّمِّ وكلُّ مسمومٍ قشيبٌ ويقال: قشبهُ الدخان: إذا امتلأ خياشيمُه من الدخان، وقوله: «وأحرقني ذَكاؤها» فأصل الذكاء: بلوغ كل شيء مُنتهاه، وذكَّيتُ النار: إذا أتممتَ إشعالها.

قوله: «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يَعرفون» قال أبو سليمان الخطابيُّ رحمه الله: هذا يحتاج إلى تأويل، وليس ذلك من أجل أنَّا نُنكِر رؤية الله تعالى، بل نثبتُها، ولا من أجل أنا ندفع ما جاء في الكتاب، وفي أخبار الرسول ﷺ من ذكرِ المجيء والإتيان غير أنَّا لا نكيِّف ذلك، ولا نجعله حركة وانتقالاً كمجيء الأشخاص وإتيانها، إلى غير ذلك من نعوت الحدث، وتعالى الله علواً كبيراً، ويجب أن تعلم أن الرؤية التي هي ثوابُ الأولياء في الجنة غير هذه الرؤيةِ المذكورة في مقامهم يوم القيامة، وإنما تعريضُهم لهذه الرؤية امتحانٌ من الله سبحانه وتعالى لهم يقع به التمييز بين مَن عَبدَ الله سبحانه، وبين مَن عبدَ الشمس والقمر والطواغيت، فيتبع كلُّ فريقٍ معبودَه، وليس يُنكر أن يكون الامتحان إذ ذاك قائماً، وحكْمُه على الخلق جارياً حتى يُفرغَ من الحساب، ويقعَ الجزاء بما يستحقونه من الثواب والعقاب، ثم يَنقطع إذا حقَّت الحقائق، واستقرَّتْ أمور العباد قرارَها، ألا ترى قوله سبحانه وتعالى: ﴿يوم يُكشف عن ساقٍ ويُدعوْنَ إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم: ٤٢] فامْتِحنوا هنالك بالسجود، ويشبِه أن يكون - والله أعلم - إنما حجبهم عن تحقق الرؤية في الكرَّة الأولى حتى قالوا: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من

معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون، فلما تميَّزوا عنهم، ارتفع الحَجْبُ، فقالوا عند ما رأوه: أنت ربنا، وذكر مِن الكلام غيرَ هذا وقال: الصورة في هذه القصة بمعنى الصفة.

قال الإمام البغوي: والواجب فيه وفي أمثاله الإيمان والتسليم. والله أعلم.

وروي عن إسحاق بن عيسى قال: أتينا عبد العزيز بن أبي سَلمةَ الماجِشوني برجُل كان يُنكِر حديث يوم القيامة، وأنَّ الله يأتيهم في صورته، فقال له: يا بُنيَّ ما تُنكِرُ من هذا؟ قال: إنَّ الله أجلُّ وأعظمُ من أن يُرى في هذه الصفة، فقال: يا أحمق إنَّ الله ليس تتغير عظمته، ولكن عيناك يُغيرهما حتى تراه كيف شاء، فقال الرجل: أتوبُ إلى الله، ورجع عمَّا كان عليه.

٤١٦٨- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّى يُزْلِفَ لَهُمُ الجَنَّةَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّة، فَيَقُولُ: هَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً، فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَيَقُومَانِ جَنبَتِي الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أُولَاكُمْ كَالبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفاً، وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ

بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفاً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩٥).

وجنبتا الصراط: ناحيتاه، وأراد بالمكرْدَس: الموثق الملقى فيها.

قوله: «من وراء وراء» أي: أنَّ المكارم التي أعطيتُها كانت بوساطة سفارة جبريل ﷺ، ولكن ائتوا موسى، فإنه حصل له سماع الكلام بغير واسطة. وقيل: بل قال ذلك على سبيل التواضع. وأما قيامُ الرَّحِمِ والأمانة فلعِظَم حَقِّهما والمعنى أنهما تقومان لتطالبا كلَّ مَنْ يُريدُ الجوازَ بحقِّهما.

٤١٦٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا، فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ المُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمْ لِلَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ. قَالَ: فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الإِيمَانِ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهٰذَا، فَلْيَقْرَأْ هٰذِهِ الآيَةَ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٣٩]. قَالَ: «فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا، فَلَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ

أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ المَلاَئِكَةُ، وَشَفَعَتِ الأَنْبِيَاءُ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، قَالَ: فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، أَوْ قَالَ: قَبْضَتَيْنِ نَاساً لَمْ يَعْمَلُوا للهِ خَيْراً قَطُّ قَدِ احْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَماً، فَيُؤْتَى بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَالَ: فَتَخْرُجُ أَجْسَادُهُمْ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ فِي أَعْنَاقِهِمُ الخَاتَمُ: عُتَقَاءُ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ، فَمَا تَمَنَّيْتُمْ، أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَهُوَ لَكُمْ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ، قَالَ: فَيَقُولُ رِضَايَ عَنْكُمْ، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَداً».

هذا حديثٌ صَحيحٌ، أخرجه مسلم (١٨٣).

٤١٧٠- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيُصِيبَنَّ أَقْوَاماً سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: الجَهَنَّمِيُّونَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٤٥٠)، وأحمد (١٢٣٦١).

قوله: «سَفْعٌ من النار» أي: علامةٌ من النار، يقال: سَفَعتُ الشيء: إذا أعلمته، وقيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ [العلق: ١٥] أي: لنُعلِمنَّه علامةَ أهل النار من سواد الوجه، وَزُرْقَةُ العين، فاكتفى بالناصية من سائر الوجه، لأنها في مقدَّم الوجه، وقيل: ﴿لنسفعاً﴾ أي: لنأخذنَّه، وقيل: لنُخزينَّه، وقيل: لنُذلنَّه.

٤١٧١- عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَيُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٦٦)، ورواه جابر «يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير»، أخرجه البخاري (٦٥٥٨)، وفسر الثعارير بالضغابيس، والثعارير: رؤوس الطرائيث تكون بيضاء شُبِّهوا بها في البياض، قال ابن الأعرابي: الثُّعْرُورُ: قثاءٌ صغارٌ، وهي الضغابيس، والثُّعرور في غير هذا: الثُّولول، ويقال: الضغابيس هَناتٌ تنبُت في أصول الثُّمام طوالٌ رَخصةٌ تُؤكل.

٤١٧٢- عَنْ أنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُصَفُّ أهْلُ النَّارِ، فَيُعَدَّلُونَ، قَالَ: فَيَمُرُّ بِهِمْ الرَّجُلُ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: يَا فُلَانُ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا تُرِيدُ؟ فَيَقُولُ: أمَا تَذْكُرُ رَجُلاً سَقَاكَ شَرْبَةً يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَإنَّكَ لأنْتَ هُوَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَشْفَعُ لَهُ، فَيُشَفَّعُ فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمُرُّ بِهِمْ الرَّجُلُ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، فَيَقُولُ: مَا تُرِيدُ؟ فَيَقُولُ: أمَا تَذْكُرُ رَجُلاً وَهَبَ لَكَ وَضُوءاً يَومَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: إنَّكَ لأنْتَ هُوَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيَشْفَعُ لَهُ، فَيُشَفَّعُ فِيهِ».

أخرجه ٱبن ماجه (٣٦٨٥) بسندٍ ضعيف لضعف يزيد الرقاشي.

٤١٧٣- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإذَا جَاوَزَهَا، الْتَفَتَ إلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أعْطَانِي اللهُ شَيْئاً مَا أعْطَاهُ أحَداً مِنَ الأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ أدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ اٰدَمَ لَعَلِّي إنْ أعْطَيْتُكَهَا سَألْتَنِي غَيْرَهَا فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أنْ لَا يَسْألَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأنَّهُ

يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ، فلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ هٰذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا سَمِعَ أَصواتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟» فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّا أَضْحَكُ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: هٰكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ العَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلٰكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٣٧١٤)، ومسلم (١٨٧) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «ما يصريني منك» أي: ما يقطع مسألتك عني، يقال: صَرَيتُ الشيء: إذا قطعتَه.

قوله: «تَسْفَعُه» أي: تضرِبُ وَجْهَه فَتُسَوِّده.

وقد حمل النووي في «شرح مسلم» ٤٦/٢ ضحك الربِّ تعالى على أنه الرضا والرحمة وإرادةُ الخير لمن يشاء من عباده، فظاهِرُ الحديث على خلافه، فإن رسولَ الله ﷺ ضحك موافقة لربه تعالى، والحَمْلُ على ما ذكر يُفَوِّتُ الموافقة.

٤١٧٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لأعْرِفُ آخِرَ أهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفاً، فَيُقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ، فَادْخُلِ الجَنَّة، قَالَ: فَيَذْهَبُ لِيَدْخُلَ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أخَذُوا المَنَازِلَ، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: قَدْ أخَذَ النَّاسُ المَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ، قَالَ: فَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: إنَّ لكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَهُ وَعَشْرَةَ أضْعَافِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أتَسْخَرُ بِي وَأنْتَ المَلِكُ؟» فَلَقَدْ رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

قوله: «حتى بَدَتْ نواجذُه» قيل: هي الأضراس، وقيل المضاحك، وقيل: هي الأنياب، وهي أحسن ما قيل فيها، لأنه في الخبر أنه ﷺ «كان جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبسمَ».

٤١٧٥- عَنْ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أخْرِجُوا

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ أوِ الحَيَا (يَشُكُّ مَالِكٌ) فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤٠).

والحيا مقصور: المطر، وفي الحديث دليلٌ على أنَّ أهْلَ المعاصي لا يُخلدون في النار، وفيه دليلٌ على تفاضل الناس في الإيمان. قال الخطابي: وحبة الخردل مَثَلٌ في المعرفة لا في الوزن، لأن الإيمان ليس بجسم يحضره الوزن أو الكيل، ولكن ما يُشكِلُ في العقول قد يُرَدُّ إلى عيار المحسوس ليُعلمَ.

٤١٧٦- عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» وَقَالَ أبَان عَنْ قَتَادَةَ «مِنْ إيمَانٍ» مَكَانَ «خَيْرٍ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

٤١٧٧- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُعَذَّبُ أُنَاسٌ مِنْ أهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا حُمَماً، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ قَالَ: فَيُخْرَجُونَ، فَيُطْرَحُونَ عَلى أبْوَابِ الجَنَّةِ، فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حُمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يُدْخَلُونَ الجَنَّةَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩١).

الحُمَمُ: الفَحْمُ واحدها حُمَمةٌ، والغُثاءُ: ما يَبِسَ من النبت، فحمله الماء، فألقاه في الجوانب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فجعله غثاءً أحوى﴾ [الأعلى: ٥]، أي: جعله غثاءً بعد أن كان أحوى، والأحوى: الذي اشتدت خضرته، وقال: ﴿فجعلناهم غثاءً﴾ [المؤمنون: ٤١] أي: أهلكناهم، فذهبنا بهم كما يذهب السيل بالغثاء.

٤١٧٨- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ رَجُلٍ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ، يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَيُخْبَأُ عَنْهُ كِبارُهَا، فَيُقَالُ لَهُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَهُوَ مُقِرٌّ لَا يُنْكِرُ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا، فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَها حَسَنَةً، فَيَقُولُ: أَيْنَ لِي ذُنُوبٌ مَا أَرَاهَا هَاهُنَا؟» قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (١٩٠)، والترمذي (٢٥٩٦).

٤١٧٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «أَنَّ رَجُلاً فِي النَّارِ يُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ: يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِعَبْدِي هٰذَا، قَالَ: فَذَهَبَ جِبْرِيلُ، فَوَجَدَ أَهْلَ النَّارِ مُنْكَبِّينَ يَبْكُونَ قَالَ: فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ رَبَّهُ، قَالَ: اذْهَبْ فَإِنَّهُ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَجَاءَ بِهِ قَالَ: يَا عَبْدِي كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ! شَرَّ مَكَانٍ وَشَرَّ مَقِيلٍ، قَالَ: رُدُّوا عَبْدِي، قَالَ: مَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تُعِيدَنِي إِلَيْهَا إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا، قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: دَعُوا عَبْدِي».

أخرجه أحمد (١٣٤١١) بسندٍ ضعيف لضعف أبي ظلال واسمه هلال القسملي.

قال الخطابيُّ: الحنَّان معناه: ذو الرحمة والعطف، والحنان مخففٌ الرحمة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وحناناً من لدُنَّا﴾ [مريم: ١٢] أي: آتيناه رحمة من عندنا، وأما المنان، فمعناه: المنعم المفضل.

٤١٨٠- عَنْ أنسٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُخْرَجُ أرْبَعَةٌ مِنَ النَّارِ قَالَ أبُو عِمْرَانَ: أرْبَعَةٌ، وَقَالَ ثَابِتٌ: رَجُلَانِ، فَيُعْرَضُونَ عَلى اللهِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إلَى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ لَقَدْ كُنْتُ أرْجُو إذْ أخْرَجْتَنِي مِنْهَا ألَّا تُعِيدَنِي فِيهَا، قَالَ: فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه مسلمٌ (١٩٢). وهذا إنَّما نجَّاه الله تعالى بسبب قوة رجائه بالله تعالى وحُسْنِ ظنِّه بأرحم الراحمين.

٤١٨١- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَا النَّارَ يَشْتَدُّ صِيَاحُهُمَا، فَقَالَ الرَّبُّ: أخْرِجُوهُمَا، فَقَالَ لَهُمَا: لِأيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا؟ قَالَا: فَعَلْنَا ذٰلِكَ لِتَرْحَمَنَا قَالَ: فَإنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أنْ تَنْطَلِقَا، فَتُلْقِيَا أنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ، فَيَنْطَلِقَانِ فَيُلْقِي أحَدُهُمَا نَفْسَهُ، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلَاماً، وَيَقُومُ الآخَرُ، فَلَا يُلْقِي نَفْسَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: مَا مَنَعَكَ أنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ كَمَا ألْقَى صَاحِبُكَ؟ فيقولُ: رَبِّ إنِّي لأَرْجُو أنْ لا تُعِيدَني فيها بَعْدَما أخْرَجْتَني، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: لَكَ رَجَاؤُكَ، فَيُدْخَلَانِ جَمِيعاً الجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ».

أخرجه الترمذي (٢٦٠٢) بسندٍ ضعيف لضعف رِشْدين بن سعد.

٤١٨٢- عن الصلت بن محمد، حدثنا يَزيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧] قَالَ: حدثنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي المُتَوَكِّلِ النَّاجِي أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُخَلَّصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٣٥).

قوله: «يُخَلَّص المؤمنون» أي: إذا نَجَوْا من السقوطِ فيها بعد جواز الصراط. وقيل في القنطرة: هي من تتمة الصراط وهي طرفهُ الذي يلي الجنة.

وفي الحديث: دليلٌ على وقوعِ القصاص في الآخرة، وأنه لن تبقى هناك مظالم لبني آدم على بعضهم.

بابُ
ذبح الموت

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أَيْ: فِيهَا الحَيَاةُ البَاقِيَةُ لَا مَوْتَ فِيهَا.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٣٥]، وَالخِيَاطُ: المِخْيَطُ هَاهُنَا، وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ «أَدُّوا الخِيَاطَ وَالمِخْيَطَ».

أخرجه أبو داود (٢٦٩٤).

والخِيَاطُ هَاهُنَا: الخَيْطُ.

٤١٨٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هٰذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هٰذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

الأملح: الذي في صوفه بياضٌ وسواد والبياض أكثر.

قوله: «فيشرئبون» أي: يرفعون رُؤوسهم. قالت عائشةُ: ارتدَّت العرب، واشرأبَّ النِّفاق، أي: ارتفع وعلا، وكل رافعٍ رأسه ينظر إلى شيء مُشرئبٌّ.

وقال سفيان في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا يَحْزنُهُمُ الفزعُ الأكبر﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قال: حين تُطبَقُ عليهم جهنم.

٤١٨٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَارِ إِلى النَّارِ جِيْءَ بِالمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

واعلم أن الموت مخلوق، قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ [الملك: ٢] فأثبت الموتَ مخلوقاً، ثم يُمَثَّلُ يوم القيامة بكبش فيذبح ليزداد سرورُ أهل الجنة ويتعاظم شقاءُ أهل النار.

باب

٤١٨٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْراً، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٦٩).

٤١٨٦- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَا يَنْتَصِفُ النَّهَارُ مِنْ يَوْمِ القِيَامَةِ حَتَّى يَقِيلَ هٰؤلَاءِ وَهٰؤلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: (ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لَإِلَى الجَحِيمِ) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ.

والتلاوة ﴿ثم إنَّ مَرْجِعَهُم لإلى الجحيمِ﴾ [الصافات: ٦٨].

وهذا خبرٌ رجاله ثقات إلّا أنه منقطع فإنه أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

باب

صفة الجنة وأهلها وما أعدَّ الله للصالحين فيها

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ [محمد: ١٥]، أَيْ: صِفَةُ الجَنَّةِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٧١]. وَقَوْلُهُ: ﴿ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: ٢٩]، أَيْ: صِفَتُهُمْ، وَقَالَ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾

الآيَةَ [الزخرف:٧١]، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ إِلَى قَولِهِ ﴿عَطَاءً حِساباً﴾ [النبأ: ٣١، ٣٦]، أَيْ: جَزَاءً كَافِياً، يُقَالُ: أَعْطَانِي فَأَحْسَبَنِي، أَيْ: كَفَانِي، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأْساً دِهَاقاً﴾ أَيْ مَلِيئَاً، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُتَتَابِعاً.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الصافَّات: ٤٤]، قَالَ: لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ، وَقَالَ: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم:١٥]، أَيْ: يُنَعَّمُونَ، وَقِيلَ: يُسَرُّونَ بِالسَّمَاعِ فِي الجَنَّةِ، وَالحَبْرَةُ: النِّعْمَةُ، وَالحَبْرَةُ: السُّرُورُ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، أَيْ: تَحَوُّلًا، وَقِيلَ: الحِوَلُ: الحِيلَةُ، أَيْ: لَا يَحْتَالُونَ مَنْزِلًا غَيْرَهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطفِّفين:٢٦]، أَيْ: يُوجَدُ فِي آخِرِهِ طَعْمُ المِسْكِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ﴾ [الشعراء:٩٠]، أَيْ: أُدْنِيَتْ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥] أَيْ: أَدْنَيْنَاهُمْ يَعْنِي إِلَى الغُرَفِ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٤]، قَالَ مُجَاهِدٌ: مُسْوَدَّتَانِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: خَضْرَاوَانِ مِنَ الرِّيِّ حَتَّى تَضْرِبَ خُضْرَتُهُمَا إِلَى سَوَادٍ قَلِيلٍ، يُقَالُ: اسْوَدَّتِ الخُضْرَةُ: إِذَا اشْتَدَّتْ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الدهر: ١٤] قَالَ مُجَاهِدٌ: إِنْ قَامَ ارْتَفَعَ، وَإِنْ قَعَدَ، تَدَلَّى إِلَيْهِ القِطْفُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أُمْكِنَتْ، فَلَا تَمْتَنِعُ عَلى طَالِبٍ. يُقَالُ لِكُلِّ مُطِيعٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ:

ذَلِيلٌ، وَمِنْ غَيْرِ النَّاسِ: ذُلُولٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقَّة:١٧]، أيْ: عَنَاقِيدُهَا كُلَّمَا أرَادُوا أنْ يَقْطِفُوا مِنْهَا شَيْئاً دَنَا مِنْهُمْ قُعُوداً كَانُوا أوْ مُضْطَجِعِينَ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ [الدهر:١٨]، قِيلَ: هِيَ اللَّيِّنَةُ السَّهْلَةُ إذَا أدْنَوْهَا مِنْ أفْوَاهِهِمْ، تَسَلْسَلَتْ فِي أجْوَافِهِمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ [المطففين:٢٥]، الرَّحِيقُ: الشَّرَابُ الَّذِي لَا غِشَّ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين:٢٩]، أيْ: مِنْ عَيْنٍ يَأْتِيهِمْ مِنْ عُلْوٍ، وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ أيْ: خَمْرٍ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي المَاءُ عَلى وَجْهِ الأرْضِ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة:٢١]، أيْ: ذَاتِ رِضاً، وَقِيلَ: مَرْضِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِأكْوَابٍ وَأبَارِيقَ﴾ [الواقعة: ١٨]، الأكْوَابُ: الَّتِي لَا خَرَاطِيمَ لَهَا وَإنْ كَانَ لَهَا خَرَاطِيمُ، فَهِيَ أبَارِيق.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمٰن: ٧٦]، قِيلَ: الرَّفْرَفُ المَحَابِسُ وَقِيلَ: فُضُولُ المَحَابِسِ، وَقَالَ أبُو عُبَيْدَةَ: الرَّفْرَفُ الفُرُشُ، وَقِيلَ: الرَّفْرَفُ: مَا فَضَلَ فَثْنِي، وَقِيلَ: الوَسَائِدُ، وَقِيلَ: رِيَاضُ الجَنَّةِ.

وَقَوْلُهُ سُبحانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة:٨٩]، قِيلَ: أيْ: رَاحَةٌ وَاسْتِرَاحَةٌ، وَمَنْ قَرَأ ﴿فَرُوحٌ﴾ بِالضَّمِّ، أيْ: فَحَيَاةٌ دَائِمَةٌ لَا مَوْتَ مَعَهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٥]، أي: لَا تُصَدَّعُ رُؤُوسُهُمْ، وَلَا تُنْزَفُ عُقُولُهُمْ.

وَقَوْلُه تَبَارَكَ وَتَعالَى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٦]، قِيلَ: زَرَابِيُّ النَّبْتِ: أَلْوَانُهُ، فَلَمَّا رَأَوْا الأَلْوَانَ فِي البُسُطِ شَبَّهُوهَا بِهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيها كَانَ عَلى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً﴾ [الفرقان:١٦]، هُوَ قَوْلُ المَلَائِكَةِ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [المؤمن: ٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، أيْ: ثَواباً، وَقِيلَ: رِزْقاً.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨]، أيْ: حُورٌ قَدْ قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ عَلى أَزْوَاجِهِنَّ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ﴾ [الرحمٰن: ٧٢]، أيْ: مُخَدَّرَاتٌ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]، السندس: رَقِيقُ الدِّيبَاجِ، والإِسْتَبْرَقُ: غَلِيظُهُ فَارِسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أيْ: لَا تَغْتَالُ عُقُولَهُمْ، أيْ: لَا يَذْهَبُ بِهَا، يُقَالُ: غَالَتِ الخَمْرُ فُلَاناً: إِذَا ذَهَبَتْ بِعَقْلِهِ وَبِصِحَّةِ بَدَنِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٧]، أيْ: لَا يَسْكَرُونَ، يُقَالُ: نُزِفَ الرَّجُلُ: إِذَا ذَهَبَ

عَقْلُهُ بِالسُّكْرِ، وَقُرِىءَ بِكَسْرِ الزَّايِ، أيْ: لَا يَفْنَى خَمْرُهُمْ، يُقَالُ: أنْزَفَ الرَّجُلُ: إذَا فَنِيَتْ خَمْرُهُ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قِيل: أرَادَ بِالفُرُشِ نِسَاءَ أهْلِ الجَنَّةِ ذَوَاتِ الفُرُشِ، يُقَالُ لِامْرَأةِ الرَّجُلِ: هِيَ فِرَاشُهُ وَإزَارُهُ وَلِحَافُهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾، أيْ: رُفِعْنَ بِالجَمالِ عَلى نِسَاءِ أهْلِ الدُّنْيَا، وَكُلُّ فَاضِلٍ رَفِيعٌ.

هٰذا، وقد صنف في وصف الجنة غيرُ واحدٍ من أهل العلم، منهم: أبو بكر بن أبي الدنيا له «صفة الجنة» وأبو نعيم الأصبهاني له «صفة الجنة» وابن القيم الجوزية له «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» وجميعُها مطبوع.

٤١٨٧- عن همَّام بن مُنبِّهٍ قال: هٰذَا مَا حَدَّثَنَا أبُو هُرَيْرَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أحَادِيثَ مِنْهَا.

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ: أعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «واللهِ لَقِيدُ سَوْطِ أحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءَ وَالأرْضِ».

أخرجه البخاري (٢٧٩٣).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مَئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا».

أخرجه البخاري (٣٢٥١)، ومسلم (٢٨٢٧).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُوَرُهُم عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الأَلُوَّةِ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلى قَلْبِ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيّاً».

أخرجه البخاري (٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

أخرجه أحمد (٨١٦٨)، ومسلم (١٨٢) وغيرهما.

وقوله: «لقِيدُ سَوْطِ أحدِكم» أي: قدره، يقال: بيني وبينه قابُ رمحٍ، وقادُ رمحٍ، وقِيدُ رمحٍ، ويروى «لقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ من الدنيا» وقاب القوْسِ: ما بين السِّيَةِ والمِقْبض.

قوله: «ومجامرهم من الأَلُوَّةِ» قال الأصمعيُّ: هو العود الذي يُتبخَّر به وأراها كلمةً فارسيةً عُرِّبت، ويُجمعُ الأَلُوَّةُ ألاوِيَة قال أبو عُبيدٍ: فيها لغتان: الأَلُوَّةُ، والأُلُوَّةُ بفتح الألف وضمها.

٤١٨٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْراً بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

قوله: «بَلْهَ» أي: دع ما أطلِعتم عليه، فإنه يسيرٌ سَهلٌ في جنب ما ذخرتُه لهم، وقيل: كيف ما أطلِعكم عليه، وقيل: فضل ما أطلعِكم يعني: ما قلتُ قليلٌ من كثير لم أذكر، وما غُيِّبَ عنكم فضل ما أطلعِكم عليه.

٤١٨٩-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وَإِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وَلَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَياةُ الدنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥]».

هذا حديث حسن، أخرجه أحمد (٩٦٤٩)، والترمذي (٣٢٩٢) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله سبحانه وتعالى: ﴿من قُرَّةِ أعينٍ﴾ يقال: أقرَّ اللهُ عينه، معناه: أبرَدَ اللهُ دمعته، لأنَّ دمعة الفرحِ باردةٌ قاله الأصمعيُّ، وقال غيره: معناه: بلَّغك الله أمنيَّتك حتى ترضى به نفسك وتقرَّ به عينك، فلا تستشرِف إلى غيره.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَظِلٍّ ممدود﴾ هو الدائم الذي لا تنسخه الشمس، والجنة كلها ظلٌّ.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿زُحزِحَ عن النار﴾ أي: نُحِّيَ وأزيلَ عنها، ومنه قوله عز وجلَّ: ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب﴾[البقرة: ٩٦] أي: بمبعِّده ومُنَجِّيه.

٤١٩٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلى أَشدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّماءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفِلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ العِينُ، عَلى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤).

قوله: «ومجامرهم الألُوَّةُ» أي: بخُورهم العودُ غير مطرى، وقد قال الله تعالى في صفة أزواجهم: ﴿فيهنَّ خيراتٌ حسانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] أي: في الجِنان حُورٌ خَيرات الأخلاق، وحسان الوجوه. وفي رواية «وقود مجامرهم الألُوَّة» كأنه أراد الجمر الذي يُطرح فيه البخور.

٤١٩١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ يَوْمَ القِيَامَةِ صُورَةُ وُجُوهِهِمْ مِثْلُ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلى لَوْنِ أَحْسَنِ الكَوْكَبِ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، عَلى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ دُونَ لُحُومِهِمَا وَدِمَائِهِمَا وَحُلَلِهِمَا».

أخرجه الترمذي (٢٥٣٧) في صفة الجنة: باب في صفة أهل الجنة، وفيه عطية العوفي ضعيف، وباقي رجاله ثقات، ويشهد له الحديث المتقدم، وحديث أبي هريرة عند أحمد (٨٥٤٢) مرفوعاً «للرجل من أهل الجنة زوجتان من حور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب» وإسناده صحيح، فيتقوى الحديث ويحسن.

٤١٩٢- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْزُقُونَ، وَيُلْهَمُونَ الحَمْدَ وَالتَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ، طَعَامُهُمْ جُشَاءٌ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٨٣٥)، وأحمد (١٤٧٦٩).

قوله: «يُلهمون التسبيح» يعني - والله أعلم - أنَّ مجرى التسبيح فيهم كمجرى النفس، وقيل في قوله سبحانه وتعالى في وصف الملائكة ﴿يُسَبِّحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ٢٠] أي: مجرى التسبيح فيهم كمجرى النفس من ابن آدم لا يشغله عن النفس شيءٌ.

ومذهبُ أهل السنةِ أنَّ أهلَ الجنة يأكلون فيها ويشربون، يتنعَّمون بذلك وبغيره من أنواع نعيمها تنعُّماً دائماً لا آخرَ له، ولا انقطاعَ أبداً. وأنَّ تنعُّمهم بذلك على هيئةِ تنعُّمِ أهل الدنيا إلّا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة، وإلّا في أنهم لا يبولون ولا يتغوَّطون ولا يتمخَّطون ولا يبصقون، وأن ذلك يخرجُ كرشح المسك. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٩١.

٤١٩٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ، لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحاً، وَلَنَصِيفُهَا عَلى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٦٨).

والنَّصيفُ: الخِمارُ.

٤١٩٤- عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفْرٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ بَدَا، لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ».

هذا حديثٌ حسن، لأنَّ الراوي عن ابن لهيعة هو عبد الله بن المبارك، وأخرجه أحمد (١٤٤٩)، والترمذي (٢٥٣٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١٠) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «يُقِلُّ» أي: يحمل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حتى إذا أقلَّتْ سحاباً ثقالاً﴾ [الأعراف: ٥٧] أي: حملت الرياح سحاباً ثقالاً وقوله: «لتزخرفت» أي: تزينت، والزخرف: كمال حسن الشيء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ [يونس: ٢٤] أي: تزيَّنت بألوان النبات، ويقال للذهب: زخرفٌ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أو يكون لك بيتٌ من زخرفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣] قيل في التفسير: من ذهبٍ.

٤١٩٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

قوله: «يتراءَوْن» أي: ينظرون، يقال: تراءَيْتُ الهِلالَ: إذا نظرْته، والكوكب الدرِّيُّ: شديدُ الإنارة نُسِب إلى الدُّرِّ، وشُبِّه صفاؤه بصفائه، وقال المفسرون: الكوكب الدُّرِّيُّ واحدٌ من الكواكب الخمسة العظام، وقال الفراء: العربُ تسمي الكواكبَ العظامَ التي لا يُعرف أسماؤها الدَّراريُّ بلا همزة، وقرأ أبو عمرٍو ﴿كأنها كوكب دِرِّيٌّء﴾ [النور: ٣٥] مكسورة الدال مهموزةٌ فعِّيلٌ من الدَّرْءِ بمعنى الدفع، والكوكب إذا دُفِع ورُمِيَ لرجم الشياطين، تضاعف ضوؤه.

قوله: «وصدَّقوا المرسلين» أي: حقَّ تصديقهم، وإلّا لكان كلُّ مَنْ آمن بالله وصدَّق رُسُلَه وصل إلى تلك الدرجة، وليس كذلك.

٤١٩٦- عن عبد الله بن قَيسٍ أبي موسى الأشعريِّ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٤٨٧٩)، والترمذي (٢٥٣٠).

٤١٩٧- عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عَنِ أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٨٧٨) و(٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠) عن أبي غسان عن ابن عبد الصمد، وقال: «رداء الكبرياء على

وجهه» وعبد الله بن قيس: هو أبو موسى الأشعريُّ، وأبو بكرٍ ابنه قال أحمد ابن حنبل: لا يُعرَف اسمه.

قوله: «رداء الكبرياء ورداء الكِبرِ» يريد صفةَ الكبرياء والعظمة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وله الكبرياءُ في السماوات والأرض﴾ [الجاثية: ٣٧] أي: العظمة والملك، فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحدٌ من خلقه بعد رؤية يوم القيامة حتى يأذنَ لهم في دخول جنة عدْنٍ، فيروْه فيها، وجنة عدْن، أي: جنة إقامةٍ، يقال: عدَنَ بالمكان يعدِنُ عُدوناً أي: أقام.

٤١٩٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ الَّذي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً، وَيُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ كَمَا بَيْنَ الجَابِيَةِ إِلَى صَنْعَاءِ».

أخرجه أحمد (١١٧٢٣)، والترمذي (٢٥٦٢) بسندٍ ضعيف.

وعنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ المِرْآةِ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلَؤَةٍ عَلَيْهَا يُضِيءُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، وَإِنَّهُ لَتَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْباً يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ».

إسناده ضعيف كسابقه، وأخرجه أحمد (١١٧١٥).

وعنه، عَنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرَدُّونَ بَنِي ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي الجَنَّةِ لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَداً، وَكَذٰلِكَ أَهْلُ النَّارِ».

إسناده ضعيف كسابقيه.

وعنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ عَلَيْهِمُ التِّيجَانَ، إنَّ أدْنَى لُؤْلُؤَةٍ فِيهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

إسناده ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٥٦٥).

٤١٩٩- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَمَا مِنْهُمْ دَانٍ لَمَنْ يَغْدُو عَلَيْهِ وَيَرُوحُ عَشْرَةُ آلافِ خَادِمٍ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَرِيفَةٌ لَيْسَتْ مَعَ صَاحِبِهِ».

في إسناده محمد بن سليم الراسبي أبو هلال فيه لين، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ٤/ ٣٧٣ وعزاه لابن أبي الدنيا موقوفاً.

وروي عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وفرُشٍ مرفوعةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمس مئة عام. أخرجه الترمذي (٢٥٤٣) بسندٍ ضعيف.

٤٢٠٠- عَنْ أبِي سَعِيدٍ، وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أبَداً، وَإنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا، فَلَا تَسْقَمُوا أبَداً، وَأنْ تَشِبُّوا، فَلَا تَهْرَمُوا أبَداً، وَإنَّ لَكُمْ أنْ تَنَعَّمُوا، فَلَا تَبْتَئِسُوا أبَداً، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢]».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٣٧)، والترمذي (٣٢٤٦).

وصحَّ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ يدخل الجنة يَنعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابُه، لا يفنى شبابُه»، أخرجه مسلم (٢٨٣٦).

وقيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولدانٌ مخلَّدون﴾ [الواقعة: ١٧] أي: مُبقَّوْنَ أبداً لا يهرمون، ولا يجاوزون حدّ الوصافة، والعرب تقول للذي لا يشيب: مُخلَّدٌ، وقيل: مخلدون، أي: مُقرَّطون، والقُرط يقال له: الخلدُ، والجمع خِلدَةٌ.

وعن شَهْر بن حَوْشَبٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ كَحْلى، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم».

أخرجه الدارمي ٢/ ٢٣٥، والترمذي (٢٥٤٢) من حديث شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد (٧٩٣٣) من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، فيحسن بهذه الطريق، وأخرجه أحمد (٢٢٠٢٤) من حديث شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل وزاد في الرواية الثالثة بين شهر ومعاذ عبد الرحمن بن غنم.

٤٢٠١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَخْلُ الجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، وَكَرَبُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ القِلَالِ أَوِ الدِّلَاءِ، أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ لَيْسَ لَهُ عَجْمٌ».

أخرجه هناد (٩٩)، وصححه الحاكم ٢/ ٤٧٥ ووافقه الذهبي، وإسناده قوي، و«الكَرَبُ» بالتحريك: أصولُ سَعف النخل.

والمقطَّعات: الثياب القصار، ومنه قول ابن عباس في وقت صلاة الضحى: إذا تقطعت الظلال، أي: قصُرت، وذلك أنها تكون ممتدةً في أول النهار، فإذا ارتفعت الشمس قصُرت، فالمقطعات: اسمٌ للقصارِ من الثياب واقعٌ على الجنس لا يُفرَد له واحدٌ، لا يقال للجُبَّة القصيرة مقطَّعةٌ، ولا للقميص مُقطَّعٌ، بل يُقال للواحد: ثوبٌ كالإبل واحدها بعيرٌ، والمعشر واحدها رجلٌ، وقيل:

هي اسم لكلِّ ثوب يُقطَّع كالقميص ونحوه، ومن الثياب ما لا يقطَّع كالأُزر والأردية.

٤٢٠٢ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ سَابِطٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَفِي الجَنَّةِ خَيْلٌ فَإِنِّي أُحِبُّ الخَيْلَ؟ فقال: «إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ، فلا تَشاءُ أَنْ تَرْكَبَ فَرَساً مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فَتَطِيرُ بِكَ في أَيِّ الجَنَّةِ شِئْتَ إِلَّا فَعَلْتَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يا رَسُولَ اللهِ أَفِي الجَنَّةِ إِبِلٌ فَإِنِّي أُحِبُّ الإِبِلَ؟ قَالَ: «يَا أَعْرابِيُّ إِنْ أَدْخَلَكَ اللهُ الجَنَّةَ، أَصَبْتَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ».

رجاله ثقات إلا أنه مرسل عبد الرحمن بن سابط تابعي ثقة كثير الإرسال. وأخرجه مرفوعاً أحمد (٢٢٩٨٢)، والترمذي (٢٥٤٦) وسنده ضعيف لاختلاط المسعودي عبد الرحمٰن بن عبد الله.

٤٢٠٣ - عن سليمان بن موسى، حدثني كُرَيْبٌ أنه سَمِعَ أُسَامَةَ ابْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا هَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ لِلجَنَّةِ، وإِنَّ الجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، وَهِيَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ نُورٌ تَلأْلأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ، وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ، وَحَبْرَةٌ وَنَعْمَةٌ فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا، قَالَ: «قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللهُ» فَقَالَ الْقَوْمُ: إِنْ شَاءَ اللهُ.

أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢)، وابن حبان (٧٣٨١) وفي إسناده الضحاك المعافري لم يوثقه غير ابن حبَّان، وسليمان بن موسى مختلفٌ فيه.

قوله: «أَلا هل مُشَمِّرٌ للجنة»، أي: ألا مِنْ ساعٍ لها غاية السعي. وفيه حضٌّ على المسارعة إلى الأعمال الموصلة لنعيم الجنة.

قوله: «لا خطَر لها»، أي: لا مِثْلَ لها. و«الحَبْرَةُ»: النعمةُ وَسَعَةُ العيش.

٤٢٠٤- عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ يَهُودِيّاً جاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَسْأَلُكَ فَتُخْبِرُنِي، قَالَ: فَرَكَضَهُ ثَوْبَانُ بِرِجْلِهِ، فَقَالَ: قُلْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: لَا أَدْعُوهُ إِلَّا بِمَا سَمَّاهُ أَهْلُهُ. قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ يَنْفَعُكَ ذٰلِكَ شَيْئاً؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، وَأُبْصِرُ بِعَيْنِي، قَالَ: فَنَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الأَرْضِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: سَلْ، قَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: «فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ مَنْ يُجِيزُ؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ» قَالَ: فَمَا نُزُلُهُمْ أَوَّل مَنْ يَدْخُلُونَها؟ قَالَ: «كَبِدُ الحُوتِ» قَالَ: فَمَا طَعَامُهُمْ عَلى أَثَرِ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «كَبِدُ الثَّوْرِ» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلى أَثَرِ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «السَّلْسَبِيلُ» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: أَفَلَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيءٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَو اثْنَانِ؟ قَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَ: عَنْ شَبَهِ الوَلَدِ، قَالَ: «مَاءُ الرَّجُلِ بَيْضَاءُ غَلِيظَةٌ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ صَفْرَاءُ رَقِيقَةٌ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَمِنْ قِبَلِ ذٰلِكَ الشَّبَهُ، وإذا عَلَا ماءُ المرأَةِ ماءَ الرَّجُلِ آنَثا بإذنِ اللهِ، ومِنْ قِبَلِ ذٰلكَ الشَّبَهُ» قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَانَ عِنْدِي فِي شَيءٍ مِمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ عِلْمٌ حَتَّى أَنْبَأَنِيهِ اللهُ فِي مَجْلِسِي هٰذا».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٣١٥).

قوله: «فنكت في الأرض» يعني: يخطُّ بالعود في الأرض وهذا يفعله المُفكِّرُ.

قوله: «هم في الظلمة دون الجسر» يعني الصراط.

قولُه: «ماءُ الرجل بيضاء، وماء المرأة صفراء» فلعل التأنيث ينصرف إلى النُّطفة.

٤٢٠٥ - عن عَلِيٍّ قَالَ: إنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقاً لَيْسَ فِيهَا بَيْعٌ وَلَا شِرَاءٌ إلَّا الصُّوَرَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَإذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَهَا، وَإنَّ فِيهَا لَمُجْتَمَعَ حُورِ العِينِ يُنَادِينَ بِصَوْتٍ لَمْ يَسْمَعِ الخَلَائِقُ بِمِثْلِها: نَحْنُ الخَالِدَاتُ، فَلَا نَبِيدُ أَبَداً، وَنَحْنُ النَّاعِماتُ، فَلَا نَبْأَسُ أَبَداً، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ، فَلَا نَسْخَطُ أَبَداً فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ.

هذا حديث ضعيف الإسناد أخرجه أحمد (١٣٤٣)، والترمذي (٢٥٥٠)، والبزار (٧٠٣)، وفي إسناده عبد الرحمٰن بن إسحاق الواسطي قال أحمد: ليس بشيء منكر الحديث.

٤٢٠٦- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتُونَها كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إلى أَهْلِيهِمْ، ولَقَدْ ٱزدادوا حُسْناً وجَمالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: واللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالًا».

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (٢٨٣٣)، والترمذي (٢٥٤٩).

والمرادُ بالسوق: مَجْمَعٌ لهم يجتمعون فيه كما يجتمع الناسُ في الدنيا في السوق. ومعنى «يأتونها كلَّ جمعة»، أي: في مقدار كلِّ جمعة أي أسبوع وليس هنالك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٨٧.

٤٢٠٧- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَزَاوَرُونَ عَلى العِيسِ الجُونِ عَلَيْهَا رِحَالُ الْمَيْسِ، تُثِيرُ مَنَاسِمُهَا غُبارَ الْمِسْكِ زِمَامُ -أَوْ خِطَامُ- أَحدِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا.

في إسناده ضعيفان: رِشْدين بن سعد وعبد الرحمٰن بن أنعم الإفريقي.

العيس الجون: الإبل البيض، والجون: السود أيضاً، وهي من الأضداد.

٤٢٠٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَائِطُ الجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَدَرَجُهَا اليَاقُوتُ واللُّؤلُؤُ، وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّ رَضْرَاضَ أَنْهَارِهَا اللُّؤلُؤُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرانُ.

ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣٧٦/٤ وعزاه لابن أبي الدنيا في «صفة الجنة».

والرضراض: صغار الحصى.

وروي عن ابن عباس في صفة الجنة: «وحِصْلِبُها الصُّوارُ» قال ابن الأعرابيّ: الحِصْلِبُ: التراب، والصُّوارُ: المِسْكُ.

٤٢٠٩- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجَنَّةِ النِّسَاءُ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٧٣٨)، والترمذي (٢٦٠٣).

وصحَّ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَدخل الجنة أقوامٌ أفئدتهم مثل أفئدة الطير» أخرجه مسلم (٢٨٤٠)، والمرادُ رقَّةُ القلوبِ ولينُها.

بابُ

رؤية الله عز وجل في الجنة ورضاه عنهم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، قَوْلُهُ: نَاضِرَةٌ، أَيْ: نَاعِمَةٌ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهَا. وَقَالَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحُسْنَىٰ: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: رُؤْيَةُ اللهِ تَعَالَى. وَسُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فَقِيلَ: قَوْمٌ يَقُولُونَ إِلَى ثَوَابِهِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: كذَبُوا فَأَيْنَ هُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. [المطففين: ١٥]، قَالَ مَالِكٌ: النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَعْيُنِهِمْ، وَقَالَ: لَوْ لَمْ يَرَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لَمْ يُعَيِّرِ اللهُ الكُفَّارَ بِالحِجَابِ، فَقَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

وقَالَ جَرِيرٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هٰذَا القَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

أخرجه مسلم (٦٣٣).

وقد أطال الإمام ابن القيم النفس في سَرْدِ الأحاديث التي تثبت الرؤية في كتابه «حادي الأرواح»: ٣٦١.

٤٢١٠- عَنْ صُهَيْبٍ قالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هٰذِهِ الآيَةَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ

مَوْعِداً يَشْتَهِي أَنْ يُنْجِزَكُمُوه قَالُوا: مَا هٰذَا الْمَوعُودُ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُنَضِّرْ وُجُوهَنَا، ويُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَرُفِعَ الحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢).

قال النووي في «شرح مسلم» ٢/ ٢٠: اعلم أنَّ مذهبَ أهل السنة بأجمعهم: أَنَّ رؤيَة الله تعالى ممكنةٌ غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأَنَّ المؤمنين يَرَوْنَ الله تعالى دون الكافرين. وزعمت طائفةٌ من أهل البِدَع: المعتزلة والخوارج والمرجئة أنَّ الله تعالى لا يراه أحدٌ من خَلْقه، وأَنَّ رؤيته مستحيلةٌ عَقلاً، وهذا الذي قالوه خَطَأ صريحٌ وَجَهْلٌ قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمَنْ بعدهم من سَلَفِ الأمة على إثباتِ رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين.

٤٢١١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَفَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ؟ قَالَ: فيَقُولُونَ: رَبَّنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ لَكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٦٠٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

٤٢١٢- عن ثُوَيْرٍ قال: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُم عَلَى اللهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى

وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾».

أخرجه أحمد (٥٣١٧)، والترمذي (٢٥٥٣)، وأبو يعلى (٥٧١٢) وإسناده ضعيفٌ جداً لضعف ثُوَير بن أبي فاختة.

٤٢١٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ وَسُرُرِهِ أَلْفَ سَنَةٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ»، وَأَرْفَعُهُمْ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّهِ بِالغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ.

إسناده ضعيف لإبهام راوٍ فيه.

ورواه محمد بن العلاء عن عبد الله الأشجعيّ، عن سفيان، عن ثُوَيْر بن أبي فاختة، عن مجاهدٍ، عن ابن عمرَ قوله، ولا نعلم أحداً ذكرَ فيه مجاهداً غير الثوريّ. وهذا إسنادٌ ضعيف جداً لضعف ثوير، ويغلب على الظن أنه هو الراوي المبهم في الطريق السالفة.

باب

صفة النار وأهلها نعوذ بالله منها

قَالَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ [الإسراء: ٩٧]، أَيْ: سَكَنَ لَهَبُهَا، وَمِثْلُهُ خَمَدَتْ، فَإِذَا بَطَلَتْ يُقَالُ: هَمَدَتْ. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾ [الفرقان: ١١]. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً﴾ [الكهف: ٢٩]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾ جَمْعُ حُقْبٍ، يُقَالُ: الحُقْبُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً﴾ قِيلَ: البَرْدُ: الرَّاحَةُ، تَقُولُ العَرَبُ: أَنَا أَتَبَرَّدُ بِذٰلِكَ أَيْ: أَسْتَرِيحُ، وَقِيلَ:

البَرْدُ: النَّوْمُ، تَقُولُ العَرَبُ: مَنَعَ البَرْدُ البَرْدَ، أَيْ: النَّوْمَ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ [النبأ: ٢٣-٢٥] قِيلَ: الغَسَّاقُ: مَا يَسِيلُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ مِنْ دُمُوعِهِمْ يُسْقَوْنَهُ مَعَ الحَمِيمِ، يُقَالُ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ: إِذَا سَالَتْ تَغْسِقُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا يَغْسِقُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الصَّدِيدِ، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ، فَهُوَ الْبارِدُ الَّذِي يُحْرِقُ بِبَرْدِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا قِيلَ لِلَّيْلِ: غَاسِقٌ، لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، وَقِيلَ غَسَّاقاً، أَيْ: مُنْتِناً كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «لَوْ أَنَّ دَلْواً مِنَ الغَسَّاقِ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا».

أخرجه أحمد (٢/١١٢٣٠) بسندٍ ضعيف.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]، هُوَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا يَنْغَسِلُ وَيَسِيلُ مِنْ أَبْدَانِهِمْ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]، قِيلَ: كَالْقَصْرِ مِنْ قُصُورِ الأَعْرَابِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَالْقَصَرِ بِفَتْحِ الصَّادِ، وَفَسَّرَ أَنَّهَا كَأَعْنَاقِ الإِبِلِ، الْوَاحِدَةُ قَصَرَةٌ، وَقِيلَ: القَصَرُ: أُصولُ الشَّجَرِ، وَقِيلَ: كَأَعنَاقِ النَّخْلِ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] أَيْ: تَضْرِبُ، وَاللَّفْحُ أَعْظَمُ تَأْثِيراً مِنَ النَّفْحِ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الأنبياء: ٤٦]، أَيْ: أَدْنَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢]، أَيْ: مَاءٍ حَارٍّ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً﴾ [محمد: ١٥] ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، الْيَحْمُومُ: الشديدُ

السَّوَادِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ دُخَانُ جَهَنَّمَ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [المعارج:١٦]، قِيلَ: الشَّوَى: الأَطْرَافُ: الْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ وَالرَّأْسُ، يُقَالُ لِجُلُودِ النَّاسِ: الشَّوَى الوَاحِدُ الشَّوَاةُ، وَلِجِلْدَةِ الرَّأْسِ: شَوَاةٌ، ولأَطْرَافِ الإنْسانِ شَوَاةٌ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿إِنَّها لإِحْدَى الكُبَرِ﴾ [المدثر:٣٥]، أَيْ: إِحْدَى الْعَظَائِمِ وَهِيَ النَّارُ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج:١٧]، قِيلَ: تَدْعُو، أَيْ: تُعَذِّبُ، قَالَ أعرَابِيٌّ لآخَرَ: دَعَاكَ اللهُ، أَيْ: عَذَّبَكَ اللهُ، وَقِيلَ: تَدْعُو، أَيْ: تُنَادِي. قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: إِنَّ جَهَنَّمَ تَدْعُو الْكَافِرَ بِاسْمِهِ، وَقِيلَ: دَعْوتُها إِيَّاهُمْ مَا تَفْعَلُ بِهِمْ مِنَ الأَفَاعِيلِ، تَقُولُ العَرَبُ: دَعَانَا غَيْثٌ وَقَعَ بِنَاحِيَةِ كَذَا، أَيْ: كَانَ ذٰلِكَ سَبَباً لِانْتِجَاعِنَا إِيَّاهُ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧٣]، قِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَذَكَّرَ بِالنَّارِ مِنْ جَهَنَّمَ فَيَتَّعِظُ. قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨]، يَعْنِي الشِّدَادَ الغِلاَظَ مِنَ المَلاَئِكَةِ، الْوَاحِدُ زِبْنِيَّةٌ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٧] الزَّفِيرُ مِنْ أَصْواتِ الْمَكْرُوبِينَ، وَالأَصْلُ فِيهِ صَوْتُ الحِمَارِ، فَالزَّفِيرُ نَهِيقُهُ، وَالشَّهِيقُ آخِرُ نَهِيقِهِ، وَقِيلَ: الزَّفِيرُ مِنَ الصَّدْرِ، وَالشَّهِيقُ مِنَ الحَلْقِ. قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ [الفرقان:١٢]، أَيْ: صَوْتُ تَغَيُّظٍ وَغَلَيَانُ تَغَيُّظٍ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ﴾ [المُلك:٨]، أَيْ: تَنْشَقُّ غَيْظاً عَلى الكُفَّارِ، وَقِيلَ: مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ، يُقَالُ: تَغَيَّظَتِ الهَاجِرَةُ: إِذَا اشْتَدَّ حَرُّهَا، وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيماً وَطَعاماً ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل:١٣]، أَيْ: لَا يَسُوغُ فِي الحَلْقِ يَعْنِي الزَّقُومَ، وَقِيلَ: هُوَ السَّرِيعُ كَمَا قَالَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦]، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشَّوْكِ يُقَالُ لَهُ الشِّبْرِقُ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات:٦٥]، قِيلَ: هِيَ حَيَّاتٌ لَهَا رُؤُوسٌ مُنْكَرَةٌ وَأَعْرَافٌ، وَقِيلَ: أُرِيدَ بِهَا الشَّيَاطِينَ الْمَعْرُوفَةَ، شُبِّهَ بِهَا لِقُبْحِها، وَكُلُّ شَيْءٍ يُسْتَقْبَحُ، فَإِنَّهُ يُشَبَّهُ بِالشَّيَاطِينِ، فَيُقَالُ: كَأَنَّ وَجْهَهُ وَجْهُ شيْطَانٍ، وَكَأَنَّ رَأْسَهُ رَأْسُ شَيْطَانٍ، وإِنَّهَا وإِنْ لَمْ يَرَهَا الآدَمِيُّونَ فَهُوَ مَسْتَشْنَعٌ عِنْدَهُمْ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ [الواقعة:٥٥] الهِيمُ: الإِبِلُ الَّتِي أَصَابَهَا الهُيَامُ، وَهُوَ دَاءٌ يُصِيبُها مِنَ العَطَشِ، فَلَا تَرْوَى مِنَ الْمَاءِ حَتَّى تَمُوتَ ﴿هٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ أَيْ: رِزْقُهُمْ وَطَعَامُهُمْ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: الهِيمُ: الرِّمَالُ الَّتِي لا يُرْوِيهَا مَاءٌ، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ [الفرقان:٦٥] الغَرَامُ: مَا كَانَ لَازِماً، يُقَالُ: فُلَانٌ مُغْرَمٌ بِكَذَا، أَيْ: لَازِمٌ لَهُ مُولَعٌ بِهِ، وَقِيلَ: الغَرَامُ: أَشَدُّ العَذَابِ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم:٨٧]، قِيلَ: أَيْ: مُشَاةً عِطَاشاً كَالإِبِلِ تَرِدُ الْمَاءَ، وَقِيلَ: الْوِرْدُ: الْقَوْمُ الَّذِينَ يَرِدُونَ الْمَاءَ، فَسُمِّيَ العِطَاشُ وِرْداً لِطَلَبِهِمْ وُرُودَ الْمَاءِ.

وللإمامِ الحافظ ابن رجب الحنبلي كتاب «التخويف من النار» وهو في غاية النَّفْع والإجادة، استوعب فيه مصنّفه رحمه الله أَحاديث الترهيب من النار، وهو مطبوع، ومثلُه جَوْدة ونفعاً كتاب الحافظ عبد الحق الاشبيلي «العاقبة».

٤٢١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً».

هـذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

قولهم: «إِنْ كانت لكافية» أي: في حَرِّها لتعذيب العصاة. فأجاب صلواتُ الله عليه وسلامه بأنها «فُضِّلت عليهن» فأشار إلى المَنْع من دعوى الإجزاءِ، فلا بُدَّ من الزيادة ليتميَّزَ ما يصدر من الخالق من العذاب على ما يصدر من خلقه.

٤٢١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّ النَّارَ أُوْقِدَتْ أَلْفَ سَنَةٍ فَابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوْقِدَتْ أَلْفَ سَنَةٍ فَاحْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوْقِدَتْ أَلْفَ سَنَةٍ، فَاسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ كاللَّيْلِ.

وهذا إسنادٌ ضعيف لضعف شريك بن عبد الله، وأخرجه الترمذي (٢٥٩٤) وابن ماجه (٤٣٢٠).

ورواه يحيى بن أبي بُكير عن شريك، عن عاصمٍ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، والموقوف أصحُّ قال أبو عيسى: لا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بُكيرٍ عن شريك.

٤٢١٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: أَتَرَوْنَها حَمْرَاءَ مِثْلَ نَارِكُمْ هٰذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ إِنَّها لَأَشَدُّ سَوَاداً مِنَ القَارِ.

أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٢٩٤ بسندٍ صحيح، قال الباجي في «المنتقى» ٧/ ٣١٩: ومِثْلُ هذه لا يعلمها أبو هريرة إلَّا بتوقيف.

٤٢١٧- عنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ عَلى أَخْمَصِ قَدَمَيهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ بِالْقُمْقُمِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).

«المِرْجَلُ» القِدْرُ. و«القُمْقُم»: آنية معروفة.

والمعروفُ أَنَّ أَهونَ أهل النارِ عذاباً هو أبو طالب بسبب حياطته رسول الله ﷺ حياطة طَبْعية لا شرعية. وقد دلَّ الحديثُ على تفاوت دركات أهل النار كما تفاوتت درجاتُ أهل الجنة.

٤٢١٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّه تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ».

هذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

الضحضاح: ما رقَّ من الماء على وجه الأرض.

٤٢١٩- عَنْ أَنَس بن مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هٰذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).

قوله: «أَرَدْتُ» جاء في رواية أخرى عند مسلم (٢٨٠٥) (٥٢): «قد سُئِلتَ أَيْسَرَ من ذلكَ» فيتعين تأويل «أَرَدْتُ» على ذلك جَمْعاً بين الروايات، لأنه

يستحيلُ عند أهل الحقّ أَن يريد الله شيئاً فلا يقع، فمذهبُ أهل الحقِّ أنَّ الله تعالى مؤيدٌ لجميع الكائنات خيرها وشَرِّها، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إنه أراد إيمان الكافر ولم يُرِدْ كفره، تعالى الله عن قولهم، فإنه يلزم منه إثبات العجز لله تعالى.

٤٢٢٠- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ مَا رَأَيْتُ بُؤْساً قَطُّ، وَمَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

هذا حديث صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

قوله: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا»، أي: يحضر أشدّهم تنعُّماً وأكثرهم ظلماً.

وفي هذا زجْرٌ للغافلين الذين استحبُّوا الحياة الدنيا على الآخرة، وشغلتهم ملذاتها من الطعام والشراب والنساء والجاه عن ذِكْرِ الآخرة والإشفاق منها. نسألُ الله العافية.

٤٢٢١- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِه: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧]، قالَ: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ، شَوَى وَجْهَهُ، ووَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ، قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. وَيَقُولُ: ﴿وإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: ١٩]».

في إسناده عبيد الله بن بُسْر وهو مجهول، وباقي رجاله ثقات، والحديث أخرجه أحمد (٢٢٢٨٥) ، والترمذي (٢٥٨٦) وقال: هٰذا حديثٌ غريب ولا يُعرَف عُبيدُ الله بن بُسْرٍ إلا في هذا الحديث، وقد روى صفوان بن عمرٍو عن عبد الله بن بُسْرٍ صاحب النبي ﷺ.

٤٢٢٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلى رُؤُوسِهِمْ، فَيَنْفُذُ الْجُمْجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ».

أخرجه أحمد (٨٨٦٤) والترمذي (٢٥٨٢) وغيرهما بإسنادٍ ضعيف وتمام تخريجه في «المسند».

و«الحميم»: الماءُ الحار. و«السَّلْتُ»: القَطْعُ والاستئصال.

٤٢٢٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «﴿بِمَاءٍ كالْمُهْلِ﴾ [الكهف:١٩]، قَالَ: كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ، سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ».

أخرجه أحمد (١١٦٧٢)، والترمذي (٢٥٨٤) وغيرهما بسندٍ ضعيف.

وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ كِثَفُ كُلِّ جِدَارٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

أخرجه أحمد (١١٢٣٤)، والترمذي (٢٥٨٤) وغيرهما وإسناده ضعيف كسابقه.

وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ دَلْواً مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيا، لَأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيا».

أخرجه أحمد (٢/١١٢٣٠) والترمذي (٢٥٨٧) وغيرهما وإسناده ضعيفٌ كسابقه.

المهل: الرصاص المذاب، أو الصُّفْرُ، أو الفضة، فكلُّ ما أذيب من هذه الإشياء، فهو مُهْلٌ، وقيل: المُهْلُ دُرْدِيُّ الزيت، وقيل: هو معنى عكر الزيت، وقيل: المُهل: الصديد الذي يسيل من جلود أهل النار.

وقوله: «فَرْوَة وجهه» يريد: جلدته، ويروى: قَرْقَرَةُ وجهه، أي: جلدةُ وجهه، والقَرْقَرُ من لباس النساء شبِّهت بشرة الوجه به. والسُّرادِقُ: كل ما أحاط بشيءٍ نحو المِضرَبِ والخِباء. يقال للحائط المشتمل على الشيء: سُرادق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف:٢٨].

وقوله: «كِثَفُ كلِّ جدارٍ»، أي: غلظَهُ.

٤٢٢٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُومِ قَطَرَتْ عَلى الأَرْضِ، لَأَمَرَّتْ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا مَعِيشَتَهُمْ، وَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ غَيْرُهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه أحمد (٢٧٣٥)، وأبو داود الطيالسي (٢٦٣٤)، وصحَّحه ابن حبان (٧٤٧٠) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «لَأَمرَّت» أي: جعلته مُرّاً.

٤٢٢٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ، وَالصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يَتَصَعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفاً، ثُمَّ يَهْوِي فَهُوَ كَذٰلِكَ».

أخرجه أحمد (١١٧١٢)، والترمذي (٣١٦٤) بإسنادٍ ضعيف لضعف رِشْدين بن سعد، وأبي السَّمْح دَرَّاج.

وقال ابن عباس: الويل: المشقَّة من العذاب، وقيل: الويل الحُزن، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يا ويلتنا﴾ [الكهف:٤٩] دعاءٌ بالويل، والويل والوَيْلَةُ: الهلكةُ، وكلُّ من وقع في هَلكةٍ دعا بالويل.

٤٢٢٦- عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: إِنَّ الصَّعُودَ صَخْرَةٌ فِي جَهَنَّمَ إِذَا وَضَعُوا أَيْدِيَهِمْ عَلَيْهَا ذَابَتْ، وَإِذا رَفَعُوهَا عَادَتْ، اقْتِحَامُها: فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ.

إسناده ضعيف لضعف عطية العوْفي. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٢٨٣، ونسبه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، والطبراني وغيرهم. «المَسْغَبَةُ»: المجاعة.

٤٢٢٧- عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ العَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَضْرَاضَةً مِثْلَ هٰذِهِ وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الجُمْجُمَة أُرْسِلَتْ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئةِ سَنَةٍ لَبَلَغَتِ الأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّها أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ».

إسناده ضعيف، في سنده أبو السمح دراج وهو ضعيفاً. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٩٠ ـ زوائد نعيم)، وأحمد (٦٨٥٦)، والترمذي (٢٥٨٨)، وعندهم: رصاصة، وهي الحجر يكون بجوانب العين الجارية. والرضراضة مثلها.

٤٢٢٨- عن زكريا بن أبي مريم الخزاعي قال: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ: إِنَّ مَا بَيْنَ شَفِيرِ جَهَنَّمَ إِلَىٰ قَعْرِهَا مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً

مِنْ حَجَرٍ يَهْوِي، أَوْ قَالَ صَخْرَةٍ تَهْوِي كَعَشْرِ عُشَرَاوَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ، فَقَالَ لَهُ مَوْلىً لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: هَلْ تَحْتَ ذٰلِكَ شَيْءٌ يَا أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: نَعَمْ غيٌّ وَآثَامٌ.

في سنده زكريا بن أبي مريم مجهول.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرّها شديدٌ، وإن قعرها بعيدٌ، وإن مقامَعها حديدٌ.

قوله: «عُشَراوات» هو جمع عُشَراء وهي التي مضى لحملها عشرةُ أشهر من النوق.

٤٢٢٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ يُعَظَّمُونَ لِتَمْتَلِىءَ مِنْهُمُ النَّارُ، وَلِيَذُوقُوا العَذَابَ.

إسنادُه صحيح.

وقد صحَّ عن أبي حازم، عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الكافر أو نابُ الكافر مثلُ أُحُد وغِلَظُ جلده مسيرةُ ثلاث» أخرجه مسلم (٢٨٥١)، والترمذي (٢٥٨٢) وغيرهما.

٤٢٣٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ».

هذا حديثٌ متَّفق على صحته أخرجه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

«والمَنْكب»: مجتمع العَضْد والكتف. وإنَّما عُظِّم خَلْقُ الكافرِ في النارِ ليعظم عذابُه ويُضاعَفَ ألمه.

٤٢٣١- عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتَدْرِي مَا سَعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ مَا تَدْرِي إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ

أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً يَجْرِي فِيهَا أَوْدِيَةُ القَيْحِ وَالدَّمِ، قُلْتُ: أَنْهارٌ؟ قَالَ: لَا بَلْ أَوْدِيَةٌ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مَا سَعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ مَا تَدْرِي حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّها سَأَلَتْ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿والأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾ [الزمر: ٦٧]، فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَلَى جِسْرِ جَهَنَّم».

إسناده صحيح، وأخرجه بطوله أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ١٨٣، وروى الترمذي (٣٢٤١) المرفوع فقط وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

ويروى عن عبد الله بن عمرو: إنَّ جهنم لَتُضَيِّقُ على الكافر كتضييق الزُّجِّ في الرُّمح.

٤٢٣٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُون﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، قَالَ: تَشْوِيهِ النَّارُ، فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّىٰ تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّىٰ تَضْرِبَ سُرَّتَهُ».

هذا حديث ضعيفُ الإسناد لضعف أبي السَّمْح في روايته عن أبي الهيثم، وأخرجه الترمذي (٢٥٩٠).

٤٢٣٣- قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يُعَظَّمُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ مَسِيرَةَ سَبْعِ لَيَالٍ ضِرْسُهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَشِفَاهُهُمْ عِنْدَ سُرَرِهِمْ، سُودٌ زُرْقٌ حُبْنٌ مَقْبُوحُونَ.

قوله: «حُبْنٌ»: هو جمع الأحْبن وهو العظيم البطن، ويقال للذي به السقيُ: أحبنُ، وأمُّ حُبَيْنٍ دويبةٌ على خِلقة الحِرباء عريضة البطن.

٤٢٣٤- عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَا أَيُّها النَّاسُ ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا، فَتَبَاكَوْا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُم فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، فَتَسِيلَ الدِّمَاءُ، فَتَقْرَحَ العُيُونُ، فَلَوْ أَنَّ سُفُناً أُرْخِيَتْ فِيهَا لَجَرَتْ».

إسناده ضعيفٌ لضعف يزيد الرقاشي. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة البكاء» (٤٥).

٤٢٣٥- عن أبي هُريرة قال: كُنّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فقال النَّبيُّ ﷺ: «تَدْرونَ مَا هٰذا؟» قالَ: قُلْنَا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هٰذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَريفاً، فهو يَهْوِي في النَّارِ الآن حَتَّى انْتَهَى إلَى قَعْرِها».

أخرجه مسلم (٢٨٤٤)

٤٢٣٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: إنَّ أَهْلَ النَّارِ يَدْعُونَ مَالِكاً فَلاَ يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَاماً، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]، قَالَ: هَانَتْ وَاللهِ دَعْوَتُهُمْ عَلَى مَالِكٍ وَعَلَى رَبِّ مَالِكٍ، ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، قَالَ: فَيَسْكُتُ عَنْهُمْ قَدْرَ الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ ﴿اخْسَؤوا فِيهَا ولَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] قَالَ: فَوَاللهِ مَا نَبَسَ الْقَوْمُ بَعْدَهَا بِكَلِمَةٍ، وَمَا هُوَ إلَّا الزَّفِيرُ وَالشَّهِيقُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَشَبَّهَ أصْواتَهُمْ بأَصْوَاتِ الحَمِيرِ أَوَّلُهَا زَفِيرٌ وَآخِرُهَا شَهِيقٌ.

رجاله ثقات، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما ذكره ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٢٦٨.

قال طاووس: بلغني أنَّ النار لمَّا خُلِقَتْ طارت أفئدة الملائكة، فلمَّا خَلق آدم، سكنتْ.

بابُ

قولِ الله عز وجل:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] مَعْنَاهُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَأَحْتَمِلَهُ، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَدَها أَنْ يَمْلأَهَا.

٤٢٣٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُها إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَزَالُ فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِىءَ اللهُ خَلْقاً فَيُسْكِنَهُ فُضُولَ الْجَنَّةِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨).

قوله: «قَطْ قَطْ» أي: حسبي حسبي.

قوله: «يزوى»، أي: يُضمُّ ويجمع.

٤٢٣٨- عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هٰذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فَقَالَتِ النارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ والْمُتَجَبِّرِينَ، وقَالَتِ الجنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ. قَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي

أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُها، فَأَمَّا النَّارُ، فَلَا تَمْتَلِىءُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ فِيهَا رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِىءُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدَاً، وَأَمَّا الجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقاً».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

قوله: «تحاجت الجنة والنار» قال النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٢٠٥: هذا الحديثُ على ظاهره، وأنَّ الله تعالى جعل في النار والجنة تمييزاً تدركان به فتحاجتا، ولا يلزم منه أن يكون التمييز فيهما دائماً.

قوله: «قَطْ قَطْ»: حَسْب، وقوله: «إنما أنتِ رحمتي» سمَّى الجنة رحمة، لأن بها تظهر رحمة الله تعالى على خلقه كما قال: «أرحم بك من أشاء» وإلا فرحمة الله تعالى من صفاته التي لم يزل بها موصوفاً ليس لله سبحانه وتعالى صفةٌ حادثةٌ، ولا اسمٌ حادثٌ، فهو قديمٌ بجميع أسمائه وصفاته جلَّ جلاله، وتقدست أسماؤه.

والقَدمُ والرِّجلان المذكوران في هٰذا الحديث من صفات الله سبحانه وتعالى المنزه عن التكييف والتشبيه، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة كاليد والإصبع، والعين والمجيء، والإتيان، فالإيمان بها فرْضٌ، والامتناع عن الخوض فيها واجبٌ، فالمهتدي من سلك فيها طريقَ التسليم، والخائضُ فيها زائغٌ، والمنكر مُعطِّلٌ، والمكيِّفُ مشبِّهٌ، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون عُلُوَّاً كبيراً ﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١].

سبحان ربّنا ربِّ العزَّة عمَّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأميِّ وآله أجمعين.

تم بعون الله وتوفيقه تهذيب شرح السنة وكان الفراغ منه في الأول من شهر رجب سنة ١٤٢١هـ.

عمـــان

شعيب الأرنؤوط

obeikandl.com